

القواعد والفوائد المستفادة من

مقدمة

رسالة ابن أبي زيد القيرواني

السيرة

يوسف بن حسن الطماري

حفظ الله



@baynoonanet



قام بها فريق التفريغ في

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية
أن تقدم لكم تفريغا لدرس بعنوان

"القواعد والفوائد المستفادة

من

مقدمة ابن أبي زيد القيرواني المالكي"

أَلْقَاهُ الشَّيْخُ

يوسف بن حسن الحمادي

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى

نَسْأَلُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يَنْفَعَ بِهِ الْجَمِيعُ

قام بها فريق التفريغ

بشبكة بينونة للعلوم الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُ بِهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنُعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَ مَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ
أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.
أَمَّا بَعْدُ ؛

(١) أيها الأخوة الأفاضل وأيتها الأخوات الكريمات: إن اللقاء بأهل العلم
وطلاب العلم نعمة عظيمة من نعم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومنة كبيرة.
وقد كان سلفنا الصالح يفرحون أشد الفرح بلقاء أهل العلم وإخوانهم من
طلاب العلم، وذلك لما يجنونه من تلك اللقاءات من الفوائد العظيمة والنصائح
الشمينة والتوجيهات المباركة.

وكان من هديهم إذا التقوا -رضي الله تعالى عنهم- التواصي فيما بينهم،
فحري بنا أن نقتدي بهم وأن نسير على طريقهم ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً في هذا
الباب، وأن نسعى لنشر وصاياهم؛ فإنها من أنفع الوصايا وأجلها قدرًا.
فإن كلام السلف من تأمله وجده يجمع بين قوة التأثير، وعمق المعنى،
ووجازة العبارة، وكثرة البركة، كما نبه على ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي -رحمه
الله- في كتاب بيان فضل علم السلف على علم الخلف.

(١) في التسجيل ٧:٥٠ .

من تلك الوصايا التي كانوا يتداولونها فيما بينهم؛ ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والحافظ هناد ابن السري في كتاب "الزهد" وابن أبي الدنيا في كتاب "الإخلاص والنية".

عن معقل بن عبيد الله الجزري قال: "كان العلماء إذا التقوا تواصوا بهذه الكلمات وإذا غابوا كتبوا بها إلى بعضهم البعض" ما هي هذه الكلمات؟ قال: "أنه من أصلح سريره أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وما بين الناس، ومن اهتم بأمر آخرته كفاه الله أمر دنياه".

هذه المعاني العظيمة أيها الإخوة: التي كان السلف يتواصون بها، ويكتب بعضهم إلى بعض بها لها وسائلها الشرعية الموصلة إليها، وأعظم طريق لنيلها والظفر بها، والوصول إليها: هو دراسة العقيدة الإسلامية التي بُعث بها نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وجعل هذه العقيدة واقعاً عملياً، وطريقاً تطبيقياً، فالعقيدة علم وعمل، هكذا نبهنا على ذلك ربنا تبارك وتعالى، وأرشدنا نبينا ﷺ.

من المقدمات العقدية العظيمة ذات المعاني العميقة، ما كتبه الإمام أبو محمد بن أبي زيد، أي: القيراوي المالكي رحمه الله تعالى، والذي كان يلقب بمالك الصغير رحمه الله.

وهذه المقدمة هي جزء من كتابه المشهور المعروف بالرسالة، وهي من كتب المالكية التي قد لقيت حفاوة واهتماماً بالغاً كبيراً من حين ألفها مؤلفها رحمه الله تعالى، وإلى يومنا هذا.

أيها الأخوة: عقيدتنا التي كلفنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى باعتقادها، وألزمنا باعتناقها مبنية على أصول الإيمان التي جاء بيانها في ختام سورة البقرة: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [البقرة: ٢٨٥].

والتي جاء أيضًا إيضاحها في حديث جبريل المشهور عندما سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: «أَنْ تَوْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَوْمَنَ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ»^(١).

العقيدة الإسلامية أيها الأخوة التي جاء بيانها في كتاب الله وشرحها وتوضيحها وتفصيلها في سنة رسول الله ﷺ عقيدة وسط، نعم وسط بين الغلو والجفاء، ووسط بين الإفراط والتفريط.

لذا أيها الأخوة: نجد أن من يلتزم هذا الاعتقاد نجده ملازمًا للحق، مستقيمًا عليه، يدور مع النصوص الشرعية حيث دارت، لا يخرج عنها أبدًا، بل هو مترفع عن التقصير وعن الاعتداء والبغي في أي باب من أبواب الاعتقاد.

ولهذا أيها الأخوة: لا بد من لزوم هذا الأمر، ومن دراسته دراسة منضبطة على وفق قواعد أهل السنة والجماعة، فإن نقفوا بذلك ندرك حقيقة هذه الوسطية. هذه العقيدة التي جاء بيانها في الكتاب والسنة تتميز بالوضوح، نعم، العقيدة الإسلامية المبنية على الكتاب والسنة تتميز بالوضوح، وبالسهولة في فهمها، وفي

إدراكها، وفي دراستها، وفي العمل بها أيضًا بخلاف العقائد الأخرى التي خرجت عن منهاج الكتاب والسنة، فليس فيها إلا التعقيد، وليس فيها إلا الغموض، وليس فيها إلا العسر الذي تنفر منه النفوس.

هذه العقيدة أيها الأخوة والأخوات: تتميز بتوافقها مع الفطرة السليمة التي فطر الله تبارك وتعالى الخلق عليها، {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [الروم: ٣٠] فهذه العقيدة التي بُعث بها نبينا ﷺ تتوافق مع الفطرة السليمة تمامًا، فلا تنفر منها أبدًا، والنفرة من الاعتقاد الصحيح إنما يكون إذا دخلت الأهواء في القلوب، ووقعت الشبهات في النفوس، فهنا تحصل النفرة؛ لأن الحق صار مشوهًا.

هذه المقدمة أيها الأخوة: العقيدة العظيمة التي سنمر عليها إن شاء الله على صغر حجمها، وقلة عباراتها فيها كثير من هذه المزايا التي ذكرتها لكم.

أيها الأخوة: من استقام على هذا الاعتقاد العظيم الذي بُعث به نبينا ﷺ، وربى نفسه عليه، وغرسه في قلبه وجعله واقعًا عمليًا في حياته أثمر له ذلك ثمارًا عظيمة.

الثمار العظيمة من العقيدة الصحيحة.

من هذه الثمار العظيمة التي تثمرها العقيدة الصحيحة:-

الثمرة أولى: الثبات، وقوة اليقين، والسلامة من الشك والحيرة والاضطراب، وأقول أيها الأخوة: كيف لا يطمئن القلب إلى ما يصدر من كتاب

الله ﷻ، ومن سنة النبي ﷺ، ولهذا إخواني نجد أصحاب العقيدة الصحيحة هم أهل الصبر إذا ابتلوا، وهم أهل الاحتساب إذا امتحنوا وهم أهل الصدق والثبات، إذا عرض لهم ما يفتنهم عن دينهم، فتجدهم من أصبر الناس على عقيدتهم، وعلى منهاجهم الذي تلقوه، وهذا بخلاف العقائد المنحرفة، لا نجد هذا فيهم أبداً.

وقد ذكر الحافظ الإمام ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ اللهُ في كتابه المشهور المعروف "شرح العقيدة الطحاوية" نقل عن رجل يقال له: شمس الدين الخسر شاهي أنه دخل على بعض الفضلاء فقال له: ما تعتقد؟ فقال له هذا الرجل الفاضل: "ما يعتقده المسلمون، مما جاء في كتاب الله وسنة النبي عليه الصلاة والسلام".

فقال له: وأنت منشرح الصدر بذلك مستيقن به؟ فقال هذا الرجل الفاضل: نعم، فقال له هذا الرجل المسمى بشمس الدين: "اشكر الله على هذه النعمة، لكنني والله لا أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، والله ما أدري ما أعتقد، ويكررها".

لماذا أيها الأخوة يقول هذا؟ بسبب الحيرة والاضطراب الذي يعيشه لما حاد وخرج عن منهاج الكتاب والسنة في معرفته بربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وغير ذلك من أصول الإيمان، فالعقائد الفاسدة دوماً تثمر الحيرة والشك والاضطراب والتعب النفسي.

ثمرة ثانية أيها الأخوة من الثمار الطيبة: وهي أن العقيدة الصحيحة السليمة تثمر لصاحبها إذا درسها دراسة مفصلة العمق في العلم، والسداد في الفهم والعقل، كما قال الله جل وعلا: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: ١٧].

وللحافظ الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى كلام نفيس على قول الله جل وعلا: {وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ} [النور: ٣٥] وهو كلام طويل أكتفي بإحالتكم عليه موجود في كتاب "اجتماع الجيوش الإسلامية" في الطبعة الأخيرة التي هي طبعة عالم الفوائد التي هي أحسن طبعات هذا الكتاب تجدون الكلام في صفحة ٢٧.

ثمرة ثالثة وكبيرة نافعة، وهي أن إفشاء هذا الاعتقاد الصحيح ونشره في الناس وتعريف الناس به، ودلالتهم عليه أيها الأخوة يعود خيره على المجتمعات بجمعها، يعود نفع هذا الاعتقاد وخيره على ولاية أمور المجتمعات وعلى شعوبها كذلك في هذه العقيدة التي ندرسها بيان الموقف الشرعي من ولاية الأمور.

في هذه العقيدة، يُدرّس الموقف الشرعي الصحيح من مركبي الكبيرة الذي تكفره كثير من الطوائف في هذا الاعتقاد يُدرّس مصادر التلقي من أين نتلقى ديننا وعقيدتنا.

في هذا الاعتقاد أيها الأخوة يُدرّس هذه العقيدة على فهم من نفهمها، وعلى طريقة من ندرسها، كل هذا موجود في هذه العقيدة العظيمة عقيدة أهل السنة

القواعد والفوائد المستفادة من مقدمة ابن أبي زيد القيرواني المالكي والجماعة، قد تطرق الإمام ابن أبي زيد لكثير مما ذكرت لكم كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

وليس هذا أيها الأخوة بغريب فإنما صدر عن الكتاب والسنة جمع وألف وما خرج عن منهاج الكتاب والسنة شتت وفرق، وهذا حال العقائد الفاسدة لم تجني منها المجتمعات من حين ظهورها إلى يومنا هذا إلا الشتات، وإلا التفريق، وإلا الدعوات، وإقامة الثورات، والخروج على الولاية ونحو ذلك، والواقع خير شاهد كما يقال.

ثمرة رابعة: وأحسب أنها من خير الثمار وأجلها، وأفضلها، وأنفعها لدارس الاعتقاد، ألا وهي: معرفة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإن دراسة العقيدة الإسلامية دراسة مفصلة منضبطة على وفق قواعد وأصول أهل السنة والجماعة تثمر لصاحبها معرفة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وإجلاله وتعظيمه، فمن عرف الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بأسمائه الحسنى، وبصفاته العلى، وبأفعاله الحكيمة أحبَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ولا بد.

ووقف وقفة استسلام على مال الله -جل وعلا- من حقوق وواجبات، وأثمر له ذلك هيبة الله جل وعلا في قلبه، والخوف منه ﷻ في نفسه، فمن عرف الله أو فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مبيناً حقيقة هذا الأمر: وهو أن دراسة الاعتقاد والعلم بالله جل وعلا يثمر المعرفة الصحيحة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قال رَحِمَهُ اللهُ: "رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله جل وعلا". وكان مالك بن دينار

رَحِمَهُ اللهُ كَثِيرًا ما يقول: "من عرف الله فهو في شغل شاغل، ويل لمن ذهب عمره باطلاً".

يقول موسى بن عيسى رَحِمَهُ اللهُ: اجتمع حذيفة المرعشي، وسليمان الخواص، ويوسف بن أسباط، هؤلاء من خيار أهل العلم ومن عبّادهم وزهادهم، قال: "فتذكروا الفقر والغنى"، وسليمان يعني الخواص ساكت، فقال بعضهم: "الغني من كان له بيت يكتنه وثوب يستره، وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا". وهذا مفهوم الغنى عند كثير من الناس اليوم.

وقال أحد الجالسين: الغني من لم يحتاج إلى الناس. فقليل لسليمان الخواص رَحِمَهُ اللهُ وغفر له: ما تقول أنت يا أبا أيوب؟ فبكى رَحِمَهُ اللهُ ثم قال: "رأيت جوامع الغنى في التوكل على الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ورأيت جوامع الشر في القنوط، أي من رحمة الله عز وجل، والغني حق الغنى من أسكن الله قلبه من غناه يقينًا، ومن معرفته توكلاً، ومن عطاياه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وقسّمه رضا، فذاك الغني حق الغنى، وإن أمسى طاوياً وأمسى معجزاً".

تأملوا إخواني هذه المقامات العظيمة من مقامات العبودية التوكل على الله، الرضى بما قسمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وقدره، اليقين بالله، الحذر من القنوط من رحمة الله، يعني قوة الرجاء فيما عند الله، هذه المقامات من أين جاءت وهذه المعاني كيف دخلت إلى القلب : إنها من العلم بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ودراسة ما له سبحانه من أسماء وصفات وأفعال.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه العظيم "روضة المحبين": "من علامات المعرفة أي بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الهيبة؛ فكلما ازدادت معرفة العبد به ازدادت هيئته له، وخشيته إياه، ومن عرف الله صفا له العيش وطابت له الحياة، وأورثته المعرفة الحياء من الله، والتعظيم له، والإجلال، والمراقبة، والمحبة والتوكل عليه، والإنابة إليه، والرضا به، والتسليم لأمره". انتهى كلامه رحمه الله.

من وفق إخواني لهذه المعاني العظيمة، ومقامات العبودية الجليلة، وتأمل هذه الثمرات تبين له صدق ما تقدم ذكره قبل قليل عن مالك بن دينار (من عرف الله فهو في شغل شاغل)، نعم، من وقرت هذه المعاني في قلبه ورسخت في نفسه، فهو بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن خلقه في شغل شاغل، قال الله جل وعلا: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً} [النحل: ٩٧].

ثبت عن مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ أنه قال: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب ما فيها، قيل يا أبا يحيى وما هو يعني ما أطيب ما في الدنيا، قال رَحِمَهُ اللهُ: معرفة الله ﷻ.

إخواني لو تأملنا في دعاء النبي ﷺ (وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَىٰ لِقَائِكَ فِي غَيْرِ صَرَاءٍ مُّضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُّضِلَّةٍ)^(١)، من أين جاءت هذه الدعوة العظيمة ومباعثها؟ من تأمل هذا حق التأمل وجد أن هذا من تمام العلم بالله، وتمكن القلب من معرفة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى معرفة صحيحة، حتى ارتقى المرء إلى

(١) رواه النسائي (١٣٠٥)، وصححه الألباني في المشكاة (٢٤٩٧).

هذا المقام العظيم وهو الشوق إلى لقاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وسؤاله لذة النظر إلى وجهه جل وعلا.

يقرر هذا الإمام ابن القيم فيقول؛ وهذا في كتابه "الفوائد" قال: "والمحبة والشوق تابع لمعرفة والعلم به، فكلما كان العلم به أتم أي بالله، كانت محبته أكمل إلى أن قال: من كان يؤمن بالله وأسمائه، وصفاته، وبه أعرف كان له أي بالله كان له أحب وكانت لذته بالوصول إليه، ومجاورته، والنظر إلى وجهه وسماع كلامه أتم". انتهى كلامه رحمه الله.

وبهذه المعرفة الصحيحة يزداد الإيمان، ويقوى في القلب والعكس بالعكس، كلما ضعفت معرفة العبد بالله، ونقص علمه بما لله من إجلال وتعظيم، ومعرفة ودراية بأسمائه، وصفاته، وأفعاله نقص إيمانه وضعفت ديانته، نسأل الله العافية. أختتم بهذه الفائدة العظيمة التي تنبهنا على تقصيرنا إخواني في حق ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وعلى ضعفنا في معرفته جل وعلا، والذي يدعوننا إلى أن نستدرك ما بقي من حياتنا ما دامت أرواحنا تجري في أجسادنا.

ثبت عن نبينا ﷺ أنه قال: «من أراد أن يعلم ما له عند الله جل ذكره فليُنظر ما لله ﷻ عنده»^(١) وهذا الحديث ثابت، روي من طرق ثلاثة، وجاء عن أبي هريرة وسمرة بن جندب رضي الله عنهما وأنس بن مالك، (من أراد أن يعلم ما له عند الله جل

(١) رواه الدارقطني في الأفراد وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (٢٣١٠).

ذكره، أي من المنازل العالية، والمقامات الشريفة والدرجات الرفيعة ونحو ذلك، كلُّ يتمنى أن يعرف قدره ومنزلته عند الله جل وعلا.

يرشد النبي -عليه الصلاة والسلام- إلى أمر به يعرف المرء قدره عند الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «**فليُنظر ما لله عز وجل عنده**»، ما الذي عندنا الله ﷻ من العلم به، ومن إجلاله، ومن تعظيمه، ومن الحياء منه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومن الخوف منه، ومن إقامة الحرمة لأمره ونهيه، ومن التسليم لأحكامه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والعمل بهدي نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، هنا يستطيع المرء أن يصنّف نفسه، وأن يحكم على نفسه.

ولهذا قال الإمام ابن القيم في هذا المعنى كلمة عظيمة، قال: "والله يُنزل العبد من نفسه حيث ينزله العبد من نفسه، كأنه يقول: قدرك عند الله على قدر الله عندك، ما قدر الله تعالى في نفسك، هكذا يكون قدرك عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى".

هذه الرسالة التي سنمر عليها خلال هذه الأيام أيها الأخوة: رسالة مباركة وفيها علم غزير وفيها لطائف، وفيها تنبيهات دقيقة، ستدركون ذلك إن شاء الله أثناء المرور عليها، وليس غرضي من هذه الرسالة هو الشرح المفصل لألفاظها أو الاستدلال لها، أو الشرح لعباراتها، فهذا قد وُفِّي به أهل العلم، وهناك من الشروح والله الحمد ما به تدركون الشرح المفصل.

لكن غرضي إخواني من هذه الرسالة، والمرور عليها في هذه الدورة: هو تنبيه الأخوة والحضور على ما احتوت عليه هذه الرسالة من الأصول، ومن القواعد،

ومن الضوابط، ومن التقاسيم، ومن التعاريف في بعض جزئياتها، ونحو ذلك، إما تصريحًا من المؤلف، أو إشارة وتلميحًا منه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

أما ما يكون غامضًا من عباراتها فسيتم توضيحه، وما كان يتطلب استدلالًا ذكرت دليله بحسبه، وما كان من ألفاظ هذه الرسالة وظاهرًا في معناه وفي مدلوله، تجاوزه بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

المتن

فيقول المصنف الإمام ابن أبي زيد القيرواني في مقدمته:
"باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات".

الشرح

الفوائد العظيمة في هذه الرسالة.

الفائدة الأولى: بيان معنى الترجمة.

أقول: الفائدة الأولى في بيان معنى الترجمة ومحتواها: هذه الترجمة اشتملت على ثلاثة أمور:-

الأمر الأول: في بيان متعلقات الاعتقاد، يعني بأي شيء يتحقق الاعتقاد، وما هي الأمور التي بها أو عن طريقها يحكم للمرء بالإسلام أو عليه بالإيمان، هذا معنى متعلقات الاعتقاد، والجواب يقول: هنا المؤلف باب ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات.

إذًا متعلقات الاعتقاد:-

أولاً: إقرار القلب، وهذا في قول المؤلف وتعتقد الأفئدة أي القلوب.

ثانياً: النطق باللسان، وهذا في قول المؤلف وتنطق به الألسنة.

ثالثاً: العمل بالجوارح، والمؤلف لم يذكره هنا لكن نصّ عليه في آخر الرسالة عند بيانه لمباحث الإيمان وسيأتي في موضعه، إذاً هذا هو الأمر الأول.

الأمر الثاني: حكم الاعتقاد، قال المؤلف: من واجب أمور الديانات، إذاً هذا الاعتقاد يجب على كل مسلم أن يعتقده، وأن يدين الله تبارك وتعالى به، وأن يعقد قلبه عليه.

الأمر الثالث في هذه الترجمة: بيان اتفاق الرسل على قضايا الاعتقاد ومسائل الإيمان، وهذا في قول المؤلف من واجب أمور الديانات، كأنه رَحِمَهُ اللهُ بهذه اللفظة يشير إلى اتفاق الرسل على هذا الاعتقاد، وهذه قضية محكمة في كتاب الله جل وعلا، قال سبحانه: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦] فهذه قضية لا مجال للنقاش فيها، فهي متفق عليها.

ومن هنا أَلَفَ الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ رسالة في هذا الباب، من يعرف منكم عنوانها؟ الشوكاني له رسالة في هذا يقرر من خلالها أن جميع الرسل متفقين على قضايا التوحيد.

اسمه إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، اتفاق الشرائع كلها على التوحيد والمعاد والنبوات.

الفائدة الثانية: الإيمان بالقلب والنطق باللسان.

من ذلك الإيمان بالقلب والنطق باللسان أن الله إله واحد، لا إله غيره، ولا شبيه له ولا نظير له ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له. هذه الجملة فيها فائدة عظيمة وأصل عظيم طالما شوش عليه المشوشون، ألا وهي أعني هذه الفائدة أن تقسيم التوحيد حقيقة شرعية، أي أن التوحيد الذي بعثت به الرسل، وجاءت تفاصيل أحكامه في كتاب الله ﷻ، وسنة النبي ﷺ ينقسم إلى أقسام ثلاثة، وهذا معروف فيما أحسب عند الجميع، لكن نقرر هذا من خلال كلام المؤلف رحمه الله.

القسم الأول: توحيد الإلهية، وهو أفراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالعبادة، أو أفراد الله جل وعلا بأفعال العباد، هذا في قول المؤلف إن الله واحد لا إله غيره، أي لا معبود بحق سواه.

والقسم الثاني: وهو توحيده سبحانه في أسمائه وصفاته، في قول المؤلف رحمه الله لا شبيه له ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له.

القسم الثالث: توحيد في ربوبيته، وفي خلقه، وفي تديره لشئون عباده، المسمى بتوحيد الربوبية، وهو توحيده ﷻ بأفعاله، وهذا في قوله لا شريك له، يعني لا مشارك له سبحانه في ملكه، ولا منازع له جل وعلا في أمره.

النصوص أيها الأخوة الواردة في تقرير هذا الأصل ما بين متفرقة وما بين مجمعة، يعني يأتي النص الواحد وفيه تقرير الأقسام الثلاثة، مثاله: قول الله تَبَارَكَ

وَتَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥].

هذه الآية جمعت أنواع التوحيد الثلاثة: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥].

ما توحيد الربوبية في الآية؟

- رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا .

ما توحيد العبادة؟

- فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ .

- توحيد الأسماء والصفات؟

- هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا .

إذاً هذه الحقيقة الشرعية واضحة، لا مجال بعد ذلك أن يقال ما يقال فيها من الشبهات.

وذلك في قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وغفر له، من ذلك النطق بالقلب والنطق باللسان، أن الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبة له، ولا شريك له.

الفائدة الثالثة أقسام النفي في باب صفات الله ﷻ.

من الفوائد العظيمة في هذه الرسالة. هذا من المؤلف رحمه الله تعالى أعني النفي فيه فائدة عظيمة ، وعنوان هذه الفائدة أقسام النفي في باب صفات الله ﷻ. النفي في هذا الباب على وجهين: وإن شئت فقل على قسمين: -

الأول: نفي مجمل. والثاني: نفي مفصل.

أما الأول وهو الإجمال في النفي فهو الأصل، لماذا؟ لأن النفي لصفات النقص على سبيل الإجمال أبلغ في تعظيم الموصوف، وفي تنزيهه عما لا يليق به. مثال ذلك: قوله تعالى: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: ٦٥] هذا نفي مجمل، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١] هذا نفي مجمل، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٤] هذا نفي مجمل.

أما الثاني وهو التفصيل في النفي: فإنه يأتي في القرآن لعارض ، ولأسباب تستدعي ذلك، ومن هذه الأسباب التي يأتي التفصيل من أجلها في النفي. أولاً: نفي ما ادعاه المكذّبون في حق الله تعالى، ونسبوا إليه ما لا يصح في جنبه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كنسبة الولد إليه، ونسبة الصاحبة إليه، ولهذا نجد العديد من الآيات فيها التفصيل في الرد على هذه الفرية.

ثانياً: ومن هذه الأسباب أيضاً دفع توهم النقص الذي قد يتبادر إلى الذهن عند قراءته لسياق الآيات، والوقوف على بعض صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأفعاله،

مثال ذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق:٣٨] لغوب يعني: إعياء وتعب.

فَمَنْ يقرأ هذه الآية قد يتبادر إلى ذهنه أو يقع في نفسه أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد تعب أو أصابه الإعياء بعد خلقه السموات والأرض تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فلدفع توهم النقص الذي قد يتبادر إلى ذهن السامع أو القارئ جاء هذا النفي {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق:٣٨].

حالة الثالثة: ذكرها أهل العلم وهي أن الصفة قد تكون كمالاً في حق المخلوق، فيتوهم القارئ أو السامع أيضاً كمالها في حق الخالق تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فيأتي التفصيل في النفي من أجل ذلك، كقوله تعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: ٣، ٤]، هذه من الحالات التي ذكرها أهل العلم في التفصيل في النفي.

هنا تنبيه يا إخواني: لا بد من يعني إدراكه في باب النفي للصفات أعني صفات النقص عن الله جل وعلا، وهو أن النفي الوارد للصفات المنفية في القرآن أو السنة يتضمن كمال ضد المنفي، يتضمن كمال ضد الصفة المنفية.

مثال ذلك: نفى الله جل وعلا عن نفسه الظلم، فقال: {وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف: ٤٩] فنفي الظلم يتضمن ماذا؟ كمال العدل، نفى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن نفسه الموت، فقال: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ} [الفرقان: ٥٨] فنفي الموت يتضمن كمال الضد وهو الحياة.

نفى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن نفسه العجز، فقال: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} [فاطر: ٤٤] فنفي العجز يتضمن كمال القدرة، وهكذا. فهذا لا بد أن نتفطن له وأن ندركه وأن النفي ليس نفياً محضاً لا ضد له.

المتن

يقول المصنف رَحِمَهُ اللهُ: ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، لا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المتفكرون بآياته، ولا يتفكرون في ماهية ذاته، {وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥].

الشرح

الفائدة الرابعة إثبات صفتي الأولية والآخرية.

في قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ ليس لأوليته ابتداء، ولا لآخريته انقضاء.

عنوان الفائدة إثبات صفتي الأولية والآخرية:

صفة الأولية في قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: ليس لأوليته ابتداء، ما معنى هذا؟ أي أنه تعالى لم يسبق بالعدم، وصفة أخرى صفة الآخرية وذلك في قوله: ولا لآخريته انقضاء، يعني أنه تعالى باقٍ جل وعلا لا يفني ولا يزول، هذا معنى ليس لآخريته انقضاء، دليل هذا قوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد: ٣].

فسّر النبي ﷺ هذا في الدعاء المشهور الذي يقال عند النوم، وهو طويل ومنه «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء»^(١)، هذا هو معنى قوله: ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء.

الفائدة الخامسة: بلوغ حقيقة الصفة مستحيل.

بلوغ حقيقة الصفة مستحيل:

هذا عنوانه، هذه الجملة وهي قول المؤلف: (ولا يبلغ كنه صفته الواصفون)، هذه الجملة دلت على أساس عظيم، وقاعدة جلية من قواعد الأسماء والصفات، نبّه عليها الإمام المفسر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في كتابه أو رسالته العظيمة منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، ذكر عدة أسس لأسماء الله جل وعلا وصفاته، ومن هذه الأسس قوله: (قطع الطمع عن إدراك حقيقة الكيفية للصفات، لأن إدراك حقيقة ذلك مستحيل).

توضيح ذلك أن يقال: إن صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الواردة في الكتاب والسنة لها معاني ولها كيفية، أما معاني الصفات فهي معلومة لنا، من خلال لغة العرب فنحن نعلم معنى السمع والبصر والحكمة والعزة والاستواء والخلق إلى آخره، معاني هذه الصفات معلومة.

(١) رواه مسلم (٢٧١٣).

أما من جهة الكيفية فإن كيفية الصفات مما حجبهُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنَّا، ولم يطلعنا على حقيقة هذه الصفات وكيفياتها على أي صفة هي على أي كيفية هي لا نعلم، لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لم يخبرنا بذلك، ولم يطلعنا على ذلك.

إذا يأتي هنا تطبيق هذه القاعدة: قطع الطمع عن إدراك حقيقة الصفة، وهو معنى قول المؤلف هنا، ولا يبلغ كنه صفته الواصفون، يقول الشيخ الأمين رَحِمَهُ اللهُ: لأن إدراك حقيقة الكيفية مستحيل. لماذا مستحيل؟

مستحيل أيها الأخوة: لأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالنسبة لنا غيب، لم نره جل وعلا، والغيبات لا تدرك كيفياتها، ولا تعلم حقيقتها، إلا بأحد أمور ثلاثة،

١- إما رؤيتها،

٢- وإما رؤية نظيرها وشبيهها.

٣- وإما ورود الخبر الصادق عنها، أعني عن كيفيتها،

وكل ذلك متنفٍ في جانب الصفات، فإنه أحد لم يرى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأيضاً ليس لله نظير ولا مثيل، ولم يأتي الخبر الصادق في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ فيه بيان حقيقة أو كيفية هذه الصفة.

ومن هنا تأتي هذه القاعدة الشريفة: قطع الطمع عن إدراك حقيقة الصفة.

الفائدة السادسة: أقسام التفكير.

يقول المصنف: ولا يحيط بأمره المتفكرون ، يعتبر المتفكرون بآياته ولا يتفكرون في ماهية ذاته، في بعض النسخ مائية، وهذا خطأ، والصواب بالهاء ماهية؛ لأن الماهية هي الحقيقة،

لمعرفة ما قرره المصنف ، يقال: التفكير قسمان:-

- قسم مأمور به.

- قسم منهي عنه.

والقسم المأمور به ينقسم إلى قسمين:

الأول: التفكير في أمر الله تعالى:

والثاني: التفكير في آيات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

أما القسم المنهي عنه من أقسام التفكير فهو التفكير في ذات الله جل وعلا، وفي صفاته، وفي طلب حقيقة الصفة، والسعي في معرفة كيفيتها، هذا منهي عنه، وممنوع، ولا سبيل للوصول إليه.

وفي هذا يقول المؤلف: ولا يتفكرون في ماهية ذاته، لماذا؟ لما تقدم معنا، عند قول المؤلف: ولا يبلغ كنه صفته الواصفون.

أما المأمور به من أقسام التفكير، فهو التفكير في أمر الله، والتفكير في آيات الله.

ودليل ما تقدم أيها الأخوة معنا قول النبي ﷺ: «تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا فيه»^(١). تفكروا في آلاء الله أي في آياته وفي أوامره الكونية، ولا تفكروا في الله أي في ذاته تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وفي طلب كيفية صفاته.

كلا النوعين من أنواع التفكير المأمور به أو المأذون به، أمر الله وآيات الله، ينقسمان إلى قسمين: كوني وشرعي، أمر الله ينقسم إلى أمر كوني وأمر شرعي. آيات الله تنقسم إلى قسمين: آيات كونية، وآيات شرعية.

أمر الله الكوني هو المتعلق بالكون وأحواله، وأمر الله الشرعي هو المتعلق بمحابه وشرعه ﷻ، آيات الله الكونية هي مخلوقاته المشاهدة أو المرئية في هذا الكون من الشمس والنجوم والقمر إلى آخره.

وآيات الله الشرعية هي ما أوحاه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، فأمر الله جل وعلا هنا بالتفكر في النوعين في الآيات وفي الأمر، لكن بالنسبة لأمر الله يقول المؤلف: ولا يحيط بأمره المتفكرون، المراد هنا نفي الإحاطة في جانب معرفة الأسرار والحكم والغايات ونحو ذلك.

فلا يمكن أن تحيط العقول وأن تلم إماماً كاملاً بالحكم والأسرار التي من أجلها خلق الله هذا الكون وما فيه، وأيضاً لا يمكن أن تحيط به الحكم والأسرار التي من أجلها شرع الله جل وعلا هذه الشرائع المتنوعة والمختلفة.

(١) الطبراني (٦٣١٩)، السلسلة الصحيحة (١٧٨٨).

أما الآيات فكما يقول المؤلف: يعتبر المتفكرون بآياته ؛ يعني يتعظون ويأخذون منها العبرة.

هنا سؤال من هو الصحابي الذي اشتهر بعبادة التفكير؟ وما لقبه؟ اسأل عن اللقب، عن لقب أبي ذر ما هو؟ كان يلقب بحكيم الأمة.

{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: ٢٥٥] العليم الخبير المدبر القدير السميع البصير العلي الكبير وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه، خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد، {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [الأنعام: ٥٩].

الفائدة السابعة: عنوانها أسماء الله توقيفية.

هذه هي القاعدة المستقرة في باب أسماء الله تعالى، والمعنى إخواني أنه لا يثبت لله اسماً إلا بعد ثبوت النص به، فما ثبت لله من أسمائه في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ أثبتناه.

يقول السفاريني رَحِمَهُ اللهُ فِي منظومته "الدرة المضية" المشهورة،
أسماءه ثابتة عظيمة .. لكنها في الحق توقيفية .. لنا بها أدلة وفيه،
فقله: لكنها في الحق توقيفية يعني أنها موقوفة على ورود النص به.

كل الأسماء التي ذكرها المؤلف هنا ثابتة إلا اسمًا واحدًا وهو المدبر، فالمدبر ليس من أسماء الله تعالى، وقد ورد في ذلك حديث عند الحاكم في المستدرک ولا يصح.

وتنبیه : في بعض النسخ، العالم بدل العليم، واسم العالم مختلف في ثبوته، أو في إثباته اسمًا لله جل وعلا، فمن أهل العلم من يثبت، كما قرر ذلك الشيخ ابن عثيمين في القواعد المثل، ومنهم من ينفيه، كما قرر ذلك الشيخ سليمان في تيسير العزيز الحميد، وغيره من أهل العلم، والمسألة تحتاج إلى مزيد بحث وتحرير.

الفائدة الثامنة: إثبات صفة الفوقية.

وهذا مستفاد من قول المؤلف: وأنه فوق عرشه المجيد بذاته. ويقال أيضًا صفة العلو، أي إن الله تعالى عالٍ على خلقه جل وعلا، وأنه فوق عرشه بذاته، وهذه الصفة إخواني ثابتة بالكتاب، وبالسنة، وبإجماع سلف الأمة، وبالفطرة وبالعقل الصحيح.

وهي يعني: هذه الصفة العلو أو الفوقية من أكثر الصفات حظًا من حيث الأدلة، فأكثر الصفات وردت فيها أدلة هي صفة العلو والفوقية، حتى قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ، كما في مجموع الفتاوى الخامس مائة واحد وعشرين لمن أراد الرجوع.

قال: قد وصف الله نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بالعلو والاستواء على العرش، والفوقية في كتابه في آيات كثيرة، حتى وهذا هو الشاهد، حتى قال بعض أكابر أصحاب الشافعي في القرآن ألف دليل أو أزيد تدل على أن الله عال على الخلق وأنه فوق عباده.

ولا أقف كثيرًا؛ لأن المراد كما قلت هو إعطاء الخطوط العريضة والمعالم العامة من خلال المرور على هذه الرسالة.

الفائدة التاسعة في أقسام العلو.

جاءت الإشارة إلى هذا في قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى بذاته، وهذا أحد أقسام العلو، القسم الأول: علو الذات، وهو الذي تقدم أن الله جل وعلا عال بذاته على خلقه، وأنه فوق عباده تَبَارَكَ وَتَعَالَى فوق السموات السبع.

القسم الثاني: علو القَدَر، وهو علو الصفات، وعظمتها، واعتقاد أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى صفات عظيمة لا نظير لها ولا مثل لها.

القسم الثالث: علو القهر، ومعناه أنه عز وجل القاهر لكل شيء، وأنه الذي ذلت له جميع المخلوقات، فلا يتحرك في هذا الكون متحرك ولا يسكن ساكن إلا بإذنه ومشيئته عز وجل.

الفائدة العاشرة: فائدة إطلاق لفظ الذات عند بيان صفة العلو.

هنا ماذا قال المؤلف وأنه فوق عرشه المزيّد بذاته، ما الفائدة من التنصيص على هذه اللفظة وهي الذات، فائدة إطلاق لفظة (الذات) عند بيان صفة العلو.

الفائدة هي كما قال غير واحد من أهل العلم هو الرد على من ينفي صفة العلو، وتقرير أن الله جل وعلا علوه على خلقه علوًا حقيقيًا، فهو عَلَا بذاته المقدسة على عرشه، وهو جل وعلا، عال على خلقه بذاته، علوًا يليق بكمال عظمتة عَلَا.

هذه هي الفائدة، وهذه اللفظة أيها الأخوة (بذاته) ، مشهورة عند السلف، وإطلاقها معروف بمن يقرأ كتب الاعتقاد.

يقول أبو نصر السجزي رَحِمَهُ اللهُ وأئمتنا كالثوري، ومالك، وابن عيينة، وحماد بن زيد، والفضيل، وأحمد، وإسحاق "متفقون على أن الله فوق العرش بذاته"، ولما ذكر الهروي رَحِمَهُ اللهُ هذه اللفظة لفظة (الذات) ، قال: ولم تزل أئمة السلف تصرح بذلك، فيسعدنا ما وسع السلف الصالح.

الفائدة الحادية عشرة: وأنه فوق عرشها المجيد بذاته.

الفائدة من قول المؤلف وهو في كل مكان بعلمه بعد قوله: وأنه فوق عرشه المجيد بذاته. ما الفائدة؟

الفائدة أيها الأخوة هي بيان أن علو الله على خلقه، وأن فوقيته على عباده لا يعني عدم علمه عز وجل بهم، ولا يعني هذا عدم إحاطته بأمورهم و ما يجري منهم أو يصدر منهم، ومن هنا يقال إن معنى قول المؤلف وهو في كل مكان بعلمه.

أي أنه تعالى مع كونه فوق عرشه، لا يخلو مكان من سمعه ومن بصره ومن علمه عز وجل، فهو مع كونه عال على خلقه، ومع كونه فوق عباده يسمع ما يصدر من عباده ويرى ما يفعلونه سبحانه وتعالى، ويسمع أقوالهم جل وعلا.

قال الإمام مالك - رحمه الله ﷺ - (الله عز وجل في السماء وعلمه في كل مكان) ، وقال أبو عمر الطلمنكي وهو من كبار علماء المالكية رَحِمَهُ اللهُ، قال: "أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤] ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه، وأن الله فوق السموات بذاته مستوٍ على عرشه كيف شاء".

الفائدة الثانية عشرة: إثبات صفة الاستواء.

وهذه المسألة من مسائل الاعتقاد الكبار، قررها ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى تقريرًا صريحًا واضحًا، في سبعة مواضع من كتابه، جاءت هذه المواضع في سياق المدح لله، وفي معرض الثناء على الله جل وعلا، والكمال له تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

من أراد منكم التفصيل فليرجع إلى رسالة الشنقيطي سالفه الذكر (منهج الدراسات لآيات الأسماء والصفات) ، جاء بيان هذه المواضع في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، والرعد، وطه، والفرقان، والسجدة، والحديد، وإثباتها محل إجماع عند السلف رحمة الله تعالى عليهم، كما نقل ذلك الإمام أبو عمر الطلمنكي.

وقال إسحاق بن راهويه، رَحِمَهُ اللهُ نَاقِلًا أَيْضًا الإجماع قال: "إجماع أهل العلم أنه تعالى على العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة".
 علّق الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في كتاب "العلو" بعد سياقه لكلام إسحاق ونقله الإجماع، فقال رَحِمَهُ اللهُ: "اسمع ويحك إلى هذا الإمام كيف نقل الإجماع على هذه المسألة الشريفة". انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

ما هو الاستواء؟ قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ المالك في كتابه "التمهيد":
 (والاستواء معلوم في اللغة ومفهوم وهو العلو، والارتفاع على الشيء، والاستقرار والتمكن فيه. قال أبو عبيدة: في قوله: استوى : علا). انتهى كلامه.
 الفائدة الثالثة عشرة: على العرش استوى.

المتن : (على العرش استوى على الملك احتوى وله الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه تعالى أن تكون صفاته مخلوقة وأسمائه محدثة، كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته، لا خلق من خلقه، وتجلّى للجبل فصار دكاً من جلاله، وأن القرآن كلام الله ليس مخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفذ).

الشرح : تقدم الكلام على الاستواء المستفاد من قول المؤلف على العرش استوى، ثم قال وعلى الملك احتوى.

الفائدة الثالثة عشرة يا إخواني الفائدة من قول المؤلف وعلى الملك احتوى بعد قوله وعلى العرش استوى، ما هي الفائدة؟ هل هناك احتراز مقصود بالإتيان بهذه العبارة أو اللفظة، الجواب نعم.

الفائدة أيها الأخوة كما نبه على ذلك أهل العلم: "هي الاحتراز ممن فسّر الاستواء بالاستيلاء وبيان أن الاستواء غير الاستيلاء". فكل معنى ومدلول، ومفهوم خاص، وأن الاستيلاء والاحتواء يختلفان، وأن الله جل وعلا مع استوائه على عرشه فإن هذا الكون تحت تصرفه، وتحت ملكه، وتحت تدبيره عز وجل.

الفائدة الرابعة عشرة: الفرق بين العلو والاستواء.

فهل هناك فرق بين الصفتين أم أنهما بمعنى واحد؟
الجواب لا شك أن بينهما فرقين.

وعنوان الفائدة إذاً الفرق بين العلو والاستواء.

فنقول: الاستواء والعلو صفتان مختلفتان، وبينهما فروق من وجوه ثلاثة: -

الفرق الأول: أن الاستواء من الصفات المعلومة بالنص، فهي صفة خبرية،

عُلمت بالدليل السمعي، الخبري القرآن والسنة،

أما العلو، فإنها من الصفات المعلومة مع النص أيضاً بالعقل والفطرة.

الفرق الثاني: أن الاستواء صفة فعلية، أي أنه **كَانَ** استوى بعد أن لم يكن

مستوياً، كما قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الحديد: ٤] فأخبر باستوائه على عرشه، بعد خلقه السموات

والأرض، وأما العلو فإنه صفة ذاتية ملازمة للرب تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا تنفك عنه.

والفرق الثالث : أن صفة الاستواء علو خاص، لأن الاستواء علو، فهو علو خاص لكن على العرش، وأما العلو فإنه عام وشامل على جميع المخلوقات، فهو عز وجل عال على كل شيء قبل خلق العرش.

إذاً هذه هي الفروق بين صفة الاستواء وصفة العلو.

المتن

قول المؤلف: وله الأسماء الحسنى والصفات العلى، لم يزل بجميع صفاته وأسمائه تعالى أن تكون صفاته مخلوقه وأسمائه محدثة.

الشرح

الفائدة الخامسة عشرة: مسائل مشتركة بين أسماء الله تعالى وصفاته.

من خلال ما قرر المؤلف.

المسألة الأولى

إثبات الأسماء والصفات له على سبيل الإجمال، أو نقول إثبات الأسماء والصفات له على سبيل الإجمال، دليل إثبات الأسماء له إجمالاً، {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}، دليل إثبات الصفات له إجمالاً قوله عز وجل: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} [النحل: ٦٠] أي الوصف الأكمل له تَبَارَكَ وَتَعَالَى، هذا مستفاد من قول المؤلف وله الأسماء الحسنى والصفات العلى.

المسألة الثانية

أسماء الله تعالى وصفاته أزلية، وهذا مستفاد من قول المؤلف لم يزل بجميع أسمائه وصفاته، ومعنى هذه الجملة أن جميع أسمائه أزلية.

وأن جميع صفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَى أزلية، ومعنى أزلية أنه لا بداية لها، وأنها لم تسبق بعدم؛ لأنه كما تقدم هو الأول الذي ليس قبل شيء تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فليست صفاته وجدت بعد أن لم تكن موجودة.

وليست أسمائه تسمى به بعد أن لم يكن متسمياً بها، لا، فأسمائه أزلية وصفاته أزلية، ولهذا قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بعد ذلك: تعالى أن تكون صفاته مخلوقه وأسمائه محدثة، والمعنى: تنزه عز وجل عن أن تكون أسمائه وصفاته كائنة بعد أن لم تكن.

الفائدة السادسة عشرة: مسائل في الأسماء الحسنى.

من خلال ما قرر المؤلف وأشار إليه.

المسألة الأولى:

في قوله رَحِمَهُ اللهُ: وله الأسماء الحسنى أن أسماء الله تعالى بالغة في الحسن غايته وتماه وكماله، فأحسن الأسماء لفظاً ومعنى هي أسماء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

المسألة الثانية:

أن وصف الأسماء الحسنى بالحسن يقتضي من المسلم أن يحترمها وأن يجلبها، وأن يوقرها، وأن يعظمها وذلك بأي شيء، وذلك:

١. بعدها

٢. وفهم معناها

٣. ودعاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بها

وهذا معنى الإحصاء الوارد في قول النبي ﷺ إن الله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة.

المسألة الثالثة:

أن وصفها بالحسن يقتضي من المسلم الحذر من الإلحاد فيها، وذلك بالانحراف عن الصراط المستقيم الذي جاء به كتاب الله وسنة النبي ﷺ في هذا الأمر.

وهنا تنبيه إخواني على عدد الأسماء الحسنى المشهورة بين الناس من خلال بعض البطاقات التي تتداول، أو الأحاديث التي تُنشر، بين غير واحد من أهل العلم الحفاظ من المحدثين كالحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، والحافظ بن حجر العسقلاني، وكالإمام الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ: أنه لم يثبت تعيين الأسماء الحسنى وعدّها في حديث عن نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ كَمَا فِي "الفتاوى" الثامن ستة وتسعين قال والحديث الذي في عدد الأسماء الحسنى، ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي ﷺ.

الفائدة السابعة عشرة: مسائل في الصفات.

نستفيدها من قول المؤلف والصفات العلى.

المسألة الأولى:

أن صفات الله تعالى صفات كمال لا نقص فيها ولا عيب بوجه من الوجوه، وهذا يدل عليه قوله والصفات العلى، وهذا معنى قول المؤلف أيضًا والصفات العلى أي الصفات العليا، العلى أي العليا، وأنه تعالى موصوف بصفات الكمال والجلال، ومنزه عن كل عيب ونقص، ما هو الدليل؟

الدليل على هذا قوله تعالى: {وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} [الروم: ٢٧]، وقوله: {وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى} [النحل: ٦٠]، والمثل الأعلى قال أهل العلم: هو الوصف الأعلى، والوصل الأكمل له تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ فِي تَفْسِيرِهِ: فالمثل الأعلى هو وصفه الأعلى وما ترتب عليه، عرفنا ما هو المثل الأعلى، طيب ما الذي ترتب على هذا الوصف الذي ترتب هو أعني الذي ترتب على اتصافه، بصفات الكمال ونعوت الجلال تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو محبته ﷻ، وتعظيمه وعبادته وتوقيره جل وعلا.

المسألة الثانية:

كل هذا مما ترتب على المثل الأعلى: أن باب الصفات مبني على الإثبات والنفي، أي إنه يثبت لله ما أثبتته لنفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وما أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، وينفى عنه من الصفات ما نفاه عن نفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وما نفاه عنه نبيه ﷺ في سنته.

المسألة الثالثة:

أن طريقة القرآن في إثبات الصفات هي الإثبات المفصل، ما معنى الإثبات المفصل؟ أي الإثبات لكل اسم ولكل صفة على سبيل التعيين، أو على سبيل التفصيل، هذا معنى الإثبات المفصل، ففي آخر سورة الحشر، إثبات مفصل، وفي آية الكرسي إثبات مفصل، ففي هذه الآية فقط، أعني آية الكرسي خمسة أسماء لله ﷻ، وفيها ما يزيد على عشرين صفة، هذا إثبات ماذا؟ إثبات مفصل، وأما النفي في باب الأسماء والصفات فقد تقدم معنا.

المسألة الرابعة:

أن نصوص صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار، معلومة لنا باعتبار معناها، ومجهولة لنا باعتبار كيفيتها وحقيقتها، معلومة لنا إخواني باعتبار معناها لماذا؟ لأنها جاءت مبينة في النصوص، مبينة في الآيات، ومبينة في الأحاديث.

وهذه الأحاديث والآيات ألفاظ جاءت محملة بمعاني يعني لها مدلول، ولها معنى، فليست ألفاظاً جامدة لا معنى لها أبداً، فصفة الاستواء والعلو، والنزول والمجيء والحكمة والعزة كلها معلومة معناها.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى له من كل صفة أكمل المعاني وأتمها وأعلاها، فعلم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مثلاً علم كامل، علم لم يسبق به جهل، وعلم أيضاً لا يلحقه ما يلحق علم المخلوقين من الزوال والفناء وعلم أيضاً لا تعترضه الآفات، فلا ينسى تبارك

وتعالى ولا يسهو وغير ذلك ، فعلم الله جل وعلا كامل من جميع الوجوه وتام من كامل الجوانب.

المسألة الخامسة:

وهي مسألة هامة أرجو أن ننتبه لها، وهي أن صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حقيقية، ومعنى حقيقة؛ أي: إن لها معنى يليق بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مختص بكماله وعظمته وجلاله ﷻ عند إضافة الصفة إليه.

قال ابن عبد البر - رحمه الله - الإمام المالكي المشهور في كتابه "التمهيد":
"أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز". انتهى كلامه.

وفي توضيح هذه القاعدة يُقال إخواني إن للصفة حتى نفهم معنى (حقيقة)،
أن للصفة ثلاثة اعتبارات: -

الاعتبار الأول: أن تأتي الصفة مجردة عن الإضافة؛ وهي بهذا المعنى أو بهذا الاعتبار، تكون معنىً كلياً عاماً مقدراً في الذهن، يعني: الصفة أو اللفظ ومعناه.
فالسمع معروف ومعناه معلوم: وهو إدراك المسموعات، والبصر معناه معلوم: وهو إدراك المبصرات، والحكمة معناها معلوم: وهو وضع الشيء في محله اللائق به، والاستواء معلوم: وهو العلو والارتفاع، والعلم معناه معلوم: وهو إدراك الأمور على ما هي عليه إدراكه جازماً صريحاً سليماً.

هذه معنى هذه الألفاظ إذا رجعنا إلى كتب اللغة ومعاجم العرب؛ لكن تختلف الحقيقة عند الإضافة، وهنا نأتي للاعتبار الثاني.

الاعتبار الثاني: وهي أن تأتي الصفة مضافة إلى الله تعالى؛ فإذا أُضيفت الصفة إلى الله ﷻ أخذت الخصائص اللائقة بالله ﷻ؛ لأن الإضافة أو الصفة إذا أُضيفت اقتضت التخصيص.

ولهذا يقول العلم: الإضافة تقتضي التخصيص، وحينئذ إذا قيل: حكمة الله أو عزة الله أو علم الله أو استواء الله إلى آخره، لا يكون في ذلك أي مشابهة للمخلوق؛ فهذه الصفة لما أُضيفت إلى الله أخذت الخصائص اللائقة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وهي بهذا الاعتبار أعني (الصفة) صار لها لوازم، ومن أعظم لوازمها: الكمال المطلق في حق الله جل وعلا؛ فلا يكون في هذه الصفة أي: نقص بوجه من الوجوه.

الاعتبار الثالث: أن تأتي الصفة مضافة إلى المخلوق؛ وهي بهذا الاعتبار تعطي ماذا؟ تعطي معنى النقص والضعف والعجز والافتقار والحاجة ونحو ذلك؛ فتكون هذه الصفة بهذا الاعتبار تتناسب مع المخلوق الذي قد أُضيفت إليه الصفة، وتأخذ حينئذ خصائص المخلوقين التي هي النقص والضعف والافتقار ونحو ذلك مما تقدم.

فإذا قيل العلم، علم المخلوق أو علم العالم ونحو ذلك، فهو علم مسبوق
بجهل، {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا} ، وهو علم يلحقه
نسيان، وهو علم تعتريه الآفات التي تعترى عامة المخلوقين.

وهكذا قل أيضًا في الاستواء، فالمخلوق عندما يستوي على الدابة أو على
السيارة ونحو ذلك؛ بحاجة إلى هذا المخلوق الذي مثله، لكن استواء الله على
عرشه ليس كاستواء المخلوق أبدًا بأي وجه من الوجوه.

استوى المخلوق وارتفع على الدابة نعم، لكن هل الاستواء كالاستواء؟ لا،
لما أُضيف له كان له خصائص ولما أُضيف هنا كان له خصائص، هذا هو معنى
قول أهل العلم إن صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حقيقة.

وأحيلكم إلى كلام ابن القيم في "بدائع الفوائد" تكلم على هذه المسألة بكلام
عظيم؛ من خلال فائدة أو قاعدة ذكر فيها ما يقرب فيها من عشرين قاعدة من
قواعد الأسماء والصفات؛ فارجعوا إليها لعلها تنفعكم بإذن الله.

المسألة السادسة.

أن صفات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى توقيفية، ومعنى توقيفية؟ كما قال الإمام أحمد:
"لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يُتجاوز القرآن
والحديث". إذا الوقوف على النص هذا هو الذي يجعل المرء في مأمن في هذا
الباب.

هذا باب القواعد يا إخواني، وهناك قواعد أخرى يعني: ينبغي لطالب العلم أن يقف عليها وأن يدرسها وأن يحسن تطبيقها والله والموفق.

المتن

يقول المصنف - عليه رحمة الله -: كَلَّمَ موسى بكلامه الَّذِي هو صفة ذاته لا خَلَقَ مِنْ خَلْقِهِ، وَجَلَّى لِلْجَبَلِ فصار دَكًّا مِنْ جَلَالِهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ كلامُ الله، ليس بمخلوقٍ فيبيدُ، ولا صفة لمخلوقٍ فينفدُ.

الشرح

الفائدة الثامنة عشرة كلام الله ﷻ كلام حقيقي.

أيها الأخوة: وهي إثبات أن الكلام صفة من صفاته تعالى، وأن كلام الله ﷻ كلامٌ حقيقي، بحروف معلومة وبصوت مسموع، وهذا معنى قول المؤلف هنا: كلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه، يعني: أن الكلام صفة من صفاته تَبَارَكَ وَتَعَالَى وليست خلقاً من مخلوقاته ﷻ، وهذه الصفة ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

وفي قول المؤلف - رحمه الله - هنا: كلم موسى بكلامه إشارة إلى بعض أدلة القرآن في هذه المسألة، وهي قوله ﷻ: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء: ١٦٤]. وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ } [الأعراف:

الفائدة التاسعة عشرة: هل صفة الكلام صفة ذاتية أم صفة فعلية؟.

أشار المؤلف إلى هذه المسألة بقوله: وكلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته. قد قرر علمائنا -رحمهم الله تعالى- أن صفة الكلام ذاتية باعتبار وفعلية باعتبار آخر.

ذاتية باعتبار أصل الصفة وثبوتها لله ﷻ، أي: إن الله تعالى موصوف بها أزلاً وأبداً، فبهذا الاعتبار تُعتبر صفة الكلام صفة ذاتية.

وفعلية باعتبار تعلقها بالمشيئة، فالله جل وعلا يتكلم متى شاء إذا شاء بما شاء جل وعلا. هذا هو خلاصة كلام أهل العلم في المسألة.

الفائدة العشرون: أقسام الصفات.

تُستفاد هذه المسألة من قول المؤلف -رحمه الله -: (وكلم موسى بكلامه الذي هو صفة ذاته) ، وعليه يُقال أيها الأخوة في بيان هذا التقسيم: أن صفات الله تنقسم باعتبار النفي والإثبات إلى قسمين: -

القسم الأول: صفات ثبوتية، هي التي ثبتت بالكتاب والسنة.

والقسم الثاني: صفات منفية، هي التي جاء نفيها في الكتاب والسنة.

الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين: -

الأول: صفات ذاتية.

والثاني: صفات فعلية.

الصفات الذاتية، ضابطها: قال: أهل العلم: التي لا تنفك عن الذات، عن ذات الله ﷻ، أو التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها جل وعلا: كالوجه واليدين والعلم والحياة ونحو ذلك.

الصفات الفعلية ضابطها: هي التي تتعلق بالمشيئة، أو هي المتعلقة بمشيئة الله ﷻ: كصفة النزول والضحك والمجيء ونحو ذلك.

الفائدة الحادية والعشرون: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق.

تتعلق بكلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذي هو القرآن، وعنوانها: "القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق".

وهذه المسألة يا إخواني: مسألة عقدية كبيرة، تظاهرت أدلة القرآن والسنة وأقوال السلف وإجماعات الأئمة على تقريرها.

ومن أصرح الأدلة على ذلك: قوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة: ٦]. وما هو كلام الله؟ القرآن.

قال جابر رضي الله عنه: إن النبي ﷺ كان يعرض نفسه على الناس بالموقف، فيقول: «هل من رجلٍ يحملني على قومه؛ فإن قریش منعوني أن أبلغ كلام ربي ﷻ»^(١). رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي.

الشاهد: (فإن قریش منعوني أن أبلغ كلام ربي ﷻ) يعني: القرآن.

(١) رواه أبو داود (٤٧٣٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٤٧).

الفائدة الثانية والعشرون: أَنَّ القرآنَ كلامُ الله ليس بمخلُوقٍ فيبيد

ما الفائدة من قول المؤلف: ليس بمخلُوقٍ فيبيدُ، ولا صفة لمخلوقٍ فينفدُ.

عقب قوله: وَأَنَّ القرآنَ كلامُ الله.

الفائدة: قال أهل العلم: هي الرد على تلك المقالة الباطلة والعقيدة الفاسدة

التي تحمل راية الدعوة إلى خلق القرآن والعياذ بالله، وذلك لما ظهرت بدعة القول

بخلق القرآن، فإن أهل العلم أتوا بهذه العبارة أو اللفظة غير مخلوق للرد على مَنْ

-والعياذ بالله- يقول بهذا القول.

ولهذا قال المؤلف: ليس (أي : القرآن) بمخلُوقٍ فيبيدُ، ولا صفة لمخلوقٍ

فينفدُ، والمعنى ليس بمخلوق من مخلوقات الله التي مآها إلى الفناء والزوال،

وأيضًا ليس من ضمن صفات المخلوقين التي مآها إلى الانتهاء.

ليس بمخلُوقٍ فيبيدُ، ولا صفة لمخلوقٍ فينفدُ. أي: يفنى ويزول ولا صفة

لمخلوق فينفد أي: ينتهي ويذهب.

المتن

والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، حُلُوهُ وَمُرُّهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدَرُهُ اللهُ رَبُّنَا،

ومقاديرُ الأمورِ بيده، ومصدَرُها عن قضائه.

عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ، فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ، لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ، {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤].

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَخْذُلُهُ بَعْدَهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوفِّقُهُ بِفَضْلِهِ، فَكُلُّ مُيسَّرٍ بَتَّيسِيرِهِ إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ، مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.
تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى، أَوْ يَكُونَ خَالِقُ شَيْءٍ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُقَدَّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَأَجَالِهِمْ، الْبَاعِثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.

الشرح

هذا الجزء إخواني وأخواتي من كلام المؤلف في هذه الرسالة، يقرر فيها أصلاً عظيماً من أصول الإيمان؛ ألا وهو (الإيمان بقضاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وقدره).
فنأتي على أولى فوائد هذا الأصل. فنقول:
الفائدة الثالثة والعشرون: حكم الإيمان بالقدر.
الإيمان بالقضاء والقدر أحد أصول الإيمان وهو واجب، كما تفيده عبارة المؤلف هنا: والإيمان بالقدر خيرٌ وشرٌّ.

أي: أنه لازم وواجب في حق كل مسلم، يقول النبي ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطئه لم يكن ليصيبه»^(١). رواه الترمذي.

الفائدة الرابعة والعشرون: أنواع المقدر.

ما يجري أيها الأخوة في هذا العالم، وما يحصل في هذا الكون إما أن يلاءم الإنسان ويوافق طبيعته ويتوافق مع حاله؛ فهذا من الخير الذي قدره الله له كالفرح والسرور إلى آخره.

وإما أن لا يتلاءم معه ما يجري له وما يحصل له، لا يتلاءم معه ولا يتوافق مع حاله، ولا يتناسب مع نفسيته فهذا من الشر الذي قدره الله ﷻ عليه. فالخير والشر والحلو والمر كله من قدر الله.

ولهذا قال المصنف هنا: والإيمانُ بالقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ حُلُوهُ وَمُرُّهُ، وكلُّ ذلك أي: الخير والشر والحلو والمر - قد قدره الله ربُّنا.

دليل هذا قول الله ﷻ: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: ٤٩]. وقول النبي ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»^(٢)، أي: حتى النشاط والقوة والكسل والضعف، كله بقدر الله تبارك وتعالى.

(١) رواه الترمذي (٢١٤٤).

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٥).

قال قتادة - رحمه الله - عند قوله تعالى: { قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ } [النساء: ٧٨]،

قال: (النعم والمصائب)، وهذا الأثر رواه ابن جرير تفسيره.

الفائدة الخامسة والعشرون: الفرق بين القضاء والقدر.

هل بينهما فرق؟ أم هما بمعنى واحد؟

أشار المؤلف من خلال استعماله لهاتين اللفظتين القضاء والقدر في مواضع من كلامه.

قال في بعض المواضع: والإيمان بالقدر، وقال: قدره الله ربنا. وقال:

مصدرها عن قضائه، فهذا القضاء والقدر؛ بمعنى واحد أم بينهما فرق؟

قيل: أنه لا فرق بينهما؛ فالقضاء هو القدر والقدر هو القضاء، والسبب قالوا: لعدم الدليل الدال على التفريق.

وقيل -قول بعض أهل العلم-: بل بينهما فرق، وأن (القدر): تقدير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للأشياء قبل أن تُخلق، هذا يُسمى قدر، فإذا حَكَمَ بوجودها وأمر بوقوعها سُميت (قضاء).

إذاً القدر هو تقدير الله للشيء قبل خلقه، والقضاء هو حكم الله للشيء عند وقوعه وحصوله. أي: إذا جاء وقت حصول هذا الشيء، ووقع سُمي قضاءً.

وقد قرر بعض أهل العلم من المعاصرين: أن هاتين اللفظتين القضاء والقدر تندرجان تحت القاعدة المشهورة: إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. أي: إذا جاء اللفظان واجتمعا في نص واحد، افترقا في المعنى.

وإذا افترقنا في النص كل واحدة منهما جاء في نص بمفرده اجتماعاً في المعنى.
وهذه قاعدة مشهورة سبق طرحها على الأخوة الذين يحضرون الدروس مراراً.
الحافظ ابن رجب ذكرها في "جامع العلوم والحكم" وشيخ الإسلام ابن
تيمية في "مجموع الفتاوى" في الجزء السابع، وابن القيم ذكرها في "الرسالة
التبوكية".

وعلى هذا نقول: فإذا ذكر القدر لوحده دخل فيه ماذا؟ القضاء، وإذا اجتمع
في نص واحد، فلكل منهما معنى على ما تقدم معنا قبل قليل.
الفائدة السادسة والعشرون: مراتب القدر.

وهذه المسألة تعتبر من أصول الإيذان بالقدر، وهي يعني: هذه المراتب
إجمالاً العلم والكتابة والمشية والخلق والإيجاد.
جمعها بعضهم في لفظ له بقوله:

عِلْمٌ كِتَابَةٌ مَوْلَانَا مَشِيَّتُهُ وَخَلْقُهُ وَهُوَ إِيجَادٌ وَتَكْوِينٌ

بيان هذه المراتب في كلام المؤلف على النحو الآتي:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم. وهذا في قول المؤلف: عِلْمٌ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ.
وفي قوله: وسبق عِلْمُهُ به. في هذين الموضوعين.

والمعنى يا إخواني: معنى مرتبة العلم؛ أي: أن الله تبارك تعالى علم بكل شيء
جملة وتفصيلاً، عالم بما كان وبما سيكون، عالم تَبَارَكَ وَتَعَالَى بجميع شئون خلقه
وأمر عبادته.

قال تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج: ٧٠].

المرتبة الثانية: في كلام المؤلف مرتبة الخلق. وإليها الإشارة في قوله -رحمه الله-: (فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ).

والمعنى أن كل ما يقع من الأشياء في هذا الكون، وما يحصل من الأمور؛ فإنها تجري على وفق علم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. يعني: يخلقها ويوجدّها على وفق علمه السابق جل وعلا.

قال سبحانه: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر: ٦٢]، وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتِهِ»^(١).

خلاصة معنى هذه المرتبة: هي أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خالق كل شيء. وأن خلقه جل وعلا شامل، لكل ما في هذا الكون، صغير وكبير وحلو ومر وطيب وخبث وخير وشر ونحو ذلك.

كل ذلك من خلق الله من الصفات والذوات والأشخاص والحركات والسكنات إلى غير ذلك؛ فلا يخرج شيء عن خلقه جل وعلا.

المرتبة الثالثة: في كلام المؤلف هنا المشيئة، وقد نبه عليها المؤلف في قوله: يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ. وفي قوله: تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ.

ومعنى مرتبة المشيئة : هي اعتقاد أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بمشيئة الله، وأن ما شاءه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى كان وما لم يشأ فإنه لا يكون. وأن مشيئته تَبَارَكَ وَتَعَالَى عامة شاملة لكل ما يقع في هذا الكون؛ من صغير وكبير وطيب وخبيث وطاعة ومعصية ونحو ذلك، قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: ٨٢].

المرتبة الرابعة: الكتابة. —وأنا أمشي طبعًا على حسب كلام المؤلف، وإلا الترتيب الذي ذكرناه في البداية - .

الكتابة جاء الإشارة إليها في قول المؤلف: فَكُلُّ مُيَسَّرٍ بَتَيْسِيرِهِ إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ. وفي قوله: ومقادير الأمور بيده.

ومعنى هذه المرتبة، أعني الكتابة: الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من

مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ إلى يوم القيامة، ودليل هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ

لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]

هذه إخواني المراتب الأربع متفق عليها بين السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، ولا خلاف فيها بينهم كما قرر ذلك الحافظ ابن القيم في كتابه (شفاء العليل)

الفائدة السابعة والعشرون: [أنواع الإرادة].

نبه المؤلف في اثناء كلامه هنا على أن الله تبارك وتعالى مشيئة وله إرادة ،
وذلك عند قوله (يضل من يشاء فيخذه بعدله ويهدي من يشاء فيوفقه بفضلله) ،
وعند قوله أيضا (تعالى الله أن يكون في ملكه ما لا يريد)

و هذه المسألة تعتبر من المسائل الدقيقة والكلام فيها يطول ، وتأتي أهميتها من
خلال ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند بيانه لانحراف بعض الفرق
في هذا الباب في باب الإرادة و المشيئة، وذلك في كتابه الإستقامة ، حيث قال :
(وضل هؤلاء ضلالا عظيما حيث لم يفرقوا بين الإرادة الدينية والكونية)
ومن هنا ننطلق فنقول : أن إرادة الله جل وعلا للأمر لما يريد حصوله تنقسم إلى
قسمين:

الأولى : إرادة كونية قدرية، وهذه ترادف المشيئة، ومعناها اعتقاد أن ما يجري في
هذا الكون وما يقع فيه فهو بمشيئة الله تعالى فما شاء الله كان ولم يشأ لم يكن .
الثاني : الإرادة الشرعية الدينية و معناها: هي المتعلقة بمحاب الله و المرتبطة بما
يقرب إليه من الطاعات.

الأولى يقال لها إرادة الخلق، و الثاني يقال له إرادة الأمر.

أذكر أمثله: (كن فيكون): كونية

(من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين): شرعية ، لأنه من المحاب لله.

ولعل من المناسب هنا أذكر فرقين بين الإرادتين :

أولاً: الإرادة الكونية القدريّة متعلّقة بجانب الخلق والإيجاد والربوبية

و الإرادة الدينيّة متعلّقة بجانب الشرع والمحبة و العبادة

وهذه من الضوابط المهمة التي تدركون الفرق بها اذا مرت عليكم في النصوص

الفرق الثاني: أن الإرادة الكونية القدريّة لا بد أن تقع فلا يخرج أحد عنها أبداً

أما الإرادة الشرعية الدينيّة فقد تقع وقد لا تقع ، فلا يلزم من كون الشيء يحبه الله

تبارك وتعالى أن يقع .

الفائدة الثامنة والعشرون: سبق المقادير بالشقاوة والسعادة ، ماذا يقتضي من العبد

هذه المسألة أشار إليها المؤلف رحمه الله بقوله : (كُلُّ ميسرٌ بتيسيره إلى ما سبق من

علمه وقدره من شقي أو سعيد)

حتى تتضح المسألة اخواني يقال: تقدير الله للأموال وعلمها بها عز وجل وحكمه

على من شاء بالسعادة وعلى من شاء بالشقاوة، ماذا يقتضي من العبد؟

الله قضى هذا في قدره وفي علمه السابق ونحن نجهل هذا المقدر، ماذا يقتضي منا؟

أيقضي منا الاتكال على ما قضاه وقدره سبحانه ، أم يقتضي منا العمل والجد

وبذل الأسباب في طلب النجاة؟

هذه المسألة أفتى فيها النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث منها:

ما رواه البخاري ومسلم من حديث علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ» قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَمُكُّثُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسَّرٍ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنِيَّ لَهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيَّ لَهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ٦]^(١)

هذا الجواب من النبي صلى الله عليه وسلم فيه أصلان عظيمان:

الأصل الأول: في قوله: (اعملوا)، والأصل الثاني في قوله: (فكل ميسر).

الأصل الأول في قوله: (اعملوا) خطاب إلى من يعقل وإلى من عنده إرادة، يدل على إن الإنسان لديه مشيئة وأنه بإمكانه أن يختار ما يريد من طريق الخير وطريق الشر، وأنه أيضا مطالب بالسعي وبالجد والعمل، لأن هذه اللفظة كما قلت لكم (اعملوا) مخاطب بها من؟ مخاطب بها من عنده قدرة وإرادة على فعل الخير وترك الشر.

(١) متفق عليه.

الأصل الثاني : في قوله: (فكل ميسر) يدل على أن الأمور تجري بتيسير الله عز وجل ، و أن من الناس من ييسر للسعادة، منهم ييسر للشقاوة ، وإذا كان كذلك فالمطلوب ماذا اخواني؟ فالمطلوب هو أن يبذل الإنسان أسباب السعادة وأن يسعى لنجاة نفسه وأن يلزمها طاعة الله تبارك وتعالى لأنه لا يدري أهو من الأشقياء أم من السعداء، إذاً أعمل حتى أكون من السعداء ، وهذا الجواب من النبي صلى الله عليه وسلم اخواني مبني على أصل شرعي عظيم ألا وهو : مباشرة الأسباب ، وأن الأخذ بالأسباب لا يتنافى أبداً ولا يتعارض من الإيمان بالقضاء والقدر ، بل إن الأخذ بالأسباب من تمام الإيمان بقضاء الله وقدره ، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب) كل شيء بالأسباب ، هكذا جرت سنة الله تبارك وتعالى.

إذاً نقول اخواني الإيمان بالقدر السابق يدعو إلى ماذا؟ يدعو إلى الجِد ، يدعو إلى العمل والاجتهاد ويرفض الاتكال وهذا هو الذي فهمه الصحابة رض الله عنهم ، ولهذا لما قال سراقه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم (اعملوا....) ماذا قال سراقه رضي الله عنه قال: (فلا أكون أبداً أشد اجتهاداً في العمل مني الآن) ، يعني هذا الكلام يدعوني إلى ماذا؟ يدعوني إلى أن أبذل الأسباب واجتهد في العمل .

الفائدة التاسعة والعشرون: خَلْق أفعال العباد

وهذه المسألة نبه عليها المؤلف رحمه الله بقوله: (تعالى الله أن يكون في ملكه ما لا يريد، أو يكون لأحد عنه غنى، أو يكون خالقاً لشيء إلا هو رب العباد ورب أعمالهم والمقدر لحركاتهم وآجالهم).

ومعنى هذه الجملة واضح ، أي أنه تعالى تنزه وتقدس عن أن يكون هناك خالق آخر غيره جل وعلا لشيء في هذا الكون فهو خالق العباد وخالق أعمالهم وخالق حركاتهم وسكناتهم، وهذه المسألة اخواني متفق عليها بين سلف الأمة لدلالة النصوص عليها ، ومن أصرحها قول الله جل وعلا : والله خلقكم وما تعملون) ، أي الله خلقكم وخالق أعمالكم، ولا يعني بحال القول بخلق أفعال العباد أنه لا إرادة لهم ولا مشيئة لهم ، لا ، فهذا انحراف فكري في هذا الباب ، بل يقال أعمال العباد تقع منهم بأمرين :

الأمر الأول : إرادة جازمة للفعل

و الثاني : تمكن من الفعل ، أي قدرة على العمل ، ولهذا لم يأت أحد منكم الآن الدرس إلا عن إرادة وعزم جازم ثم عن قدرة وتمكن من المجيء ، فحصل المجيء ، واضح؟ هذا لا بد أن ندركه، وعلى هذا لا يقال إنسان مجبور أو إنسان ملزم ، لا لا يقال هذا ، ولهذا نحن نضيف الأعمال لمن؟ إلى من يقوم بها ، يقال فلان صائم فلان يصلي لماذا؟ لأنه هو الذي باشر العمل وقام به.

(الباعث الرسل إليهم لإقامة الحجة عليهم ثم ختم الرسالة والندارة والنبوة بمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم فجعله آخر المرسلين بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وأنزل عليه كتابه الحكيم وشرح به دينه القويم وهدى به الصراط المستقيم)

هذا الجزء من كلام المؤلف يقرر فيه بعض مسائل الإيما بالرسل عليهم الصلاة والسلام، والإيمان بالرسل أحد أصول الإيما

الفائدة الثلاثون : الغاية من بعثة الرسل .

وهذه الفائدة مستفادة من قول المؤلف (الباعث الرسل إليهم-أي إلى العباد- لإقامة الحجة عليهم) ، ودليل هذا قوله تعالى : **(رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)** [النساء -١٦٥] ، و المعنى أن الله أرسل الرسل بالبشارة لمن؟ لمن اتبعهم وآمن بهم ، والبنذارة لمن أعرض عن سبيلهم وخالف طريقهم ، وهذا الإرسال يقطع الحجة على العباد ويقطع العذر عنهم ، كما قال تعالى : **{ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ }** إذا طرحوا هذا العذر عن الإستجابة للرسل فيقولون : **{ مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ }** عنده سيرد عليهم بقوله جل وعلا : **{ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ }** [المائدة-١٩]

الفائدة الحادية والثلاثون: قواعد دعوات الرسل .

الله جل وعلا بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام بقواعد ثلاث ، تقوم الحجة على جميع العباد بها ، بينها الإمام ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين بقوله : (والرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامهم عليهم أجمعين أرسلوا بالدعوة إلى الله -هذه القاعدة الأولى- وبيان الطريق الموصل إليه -وهذه القاعدة الثانية- وبيان حال المدعوين بعد وصولهم إليه -هذه القاعدة الثالثة- فهذه القواعد الثلاث ضرورية في ملة على لسان كل رسول) انتهى كلامه.

القاعدة الأولى: أرسلوا بالدعوة إلى الله يعني إلى توحيد الله وإلى الإيمان به والدعوة إلى عبادته ، الدعوة إلى حق الله والتعريف به.

الثانية: بيان الطريق الموصل إليه يعني بذلك باب العمل، والقربات والطاعات التي يدخل فيها العبادات والمعاملات والأخلاق .

والقاعدة الثالثة: متعلقة بالجزاء و الأجر والثواب (بيان حال المدعوين بعد وصولهم إليه) ، ماذا لهم إذا استجابوا لله ولرسله عليهم الصلاة والسلام .

الفائدة الثانية والثلاثون: [نبينا ﷺ خاتم الأنبياء والرسل].

وتقرير هذا واضح عند المؤلف رحمه الله تعالى حيث قال:

القواعد والفوائد المستفادة من مقدمة ابن أبي زيد القيرواني المالكي
(ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالنَّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فَجَعَلَهُ آخَرَ الْمُرْسَلِينَ)؛ والنصوص محكمة في بيان هذا.

ولهذا قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عند قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ
أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] قال:
فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق أولى
والأحرى.

وبيان هذا أيها الإخوة في كتب العقائد من المهمات، وذلك للرد على مدعي
النبوّة فإنه بين حين وآخر يظهر من يظهر "والعياذ بالله في هذا الجانب فيدعيه.

الفائدة الثالثة والثلاثون: [من صفات نبينا ﷺ في دعوته إلى الله ﷻ].

[من صفات نبينا ﷺ في دعوته إلى الله ﷻ]: بيان هذا في قول المؤلف:
(فَجَعَلَهُ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)

ودليل هذه الأوصاف التي ذكرها المؤلف -رحمه الله- قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى
في سورة الأحزاب: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾
[الأحزاب: ٤٥] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]

وللشيخ ابن سعدي يا إخواني: تفسيرٌ بديع، وبيانٌ وافٍ لهذه الصفات،
أحيل إخواني وأخواتي عليه فلعل ذلك يكون عوناً لنا على التأسي بالنبي -صلى
الله عليه وسلم- في دعوته إلى الله، ودلالته الناس على الخير.

الفائدة الرابعة والثلاثون: [حقيقة الوحي المنزل على نبينا ﷺ].

[حقيقة الوحي المنزل على نبينا ﷺ]: وحقيقة هذا الوحي هو القرآن والسنة.

وهذا مستفاد من قول المصنف - رحمه الله -: (وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ، وَهَدَى بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

ودليل هذا الذي قرره المؤلف قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»^(١). «وَمِثْلَهُ مَعَهُ» يعني: السنة التي أوحى بها إلى نبينا - صلى الله عليه وسلم -، وبما قرره المصنف أيها الإخوة يُعلم أن سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - وحي كالقرآن.

ولهذا قال حسان بن عطية - رحمه الله - (كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا كَمَا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ) إِذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ كِلَاهُمَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

ويعلم أيضًا بما قرره المصنف ضلال دعوى فصل السنة عن القرآن، وأنها دعوى تهدف إلى هدم الدين والعياذ بالله، وإلا ففي الواقع والحقيقة لا يمكن بحال أن تُفصل السنة عن القرآن.

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٤).

وفي كلام المصنف أيضًا ما يرد على هذه الدعوة، أعني دعوى فصل السنة عن القرآن، وذلك في قوله هنا: (وشرح به)، أي الله جلّ وعلا، شرح بنينا ﷺ، (دينه القويم).

(وشرح به دينه القويم) أي بنينا -عليه الصلاة والسلام-، فالسنة شارحة للقرآن مفصلة لمجمل القرآن، ونحو ذلك من أوجه البيان. الفائدة الخامسة والثلاثون: [الطريق إلى الصراط المستقيم].

[الطريق إلى الصراط المستقيم]: الطريق إلى الصراط المستقيم الذي أمرنا بسلوكه، يكون بواسطة النبي ﷺ، كما قرره المصنف -رحمه الله هنا بقوله: (وهدى به)، أي الله جلّ وعلا، هدى بنبيه -صلى الله عليه وسلم- (الصَّراطِ الْمُسْتَقِيمِ). والمقصود بالهداية هنا: هي هداية الدلالة والإرشاد والبيان، كما قال الله جلّ وعلا: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في مجموع الفتاوى الأول (مائة سبعة وتسعين).

قال: (فالصراط المستقيم هو ما بعث الله به رسوله -صلى الله عليه وسلم- بفعل ما أمر وترك ما حضر وتصديقه -صلى الله عليه وسلم- فيما أخبر) وبهذا يُحقق المرء مدلول ومعنى شهادة أن محمدًا رسول الله.

وبما قرر المصنف هنا بقوله: (وَهَدَى بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) يُعَلِّمُ إِخْوَانِي: أنه لا طريق إلى الهداية، ولا سبيل إلى الصراط المستقيم إلا من طريق النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قال جابر -رضي الله عنه-: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَغَضِبَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «أُمْتَهُوْكُمْ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ»، أي أنتم في شك من الشريعة التي جئتم بها؟

«أُمْتَهُوْكُمْ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيِّنَاتٍ، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^(١).

وهذا يعني أيها الإخوة: أن ضمان العصمة من الضلال، وتحقيق الهداية مربوط بماذا؟ بإتباع النبي ﷺ، «لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» فانتبهوا إلى هذا بارك الله فيكم.

وأيضاً بمثل ما قرر المصنف يُرد على دعوى ما يسمى بتقارب الأديان، وعلى تلك المقالات الباطلة التي تعج بها الساحة الإعلامية وغيرها في هذا الوقت، وهي عدم الفرق بين المسلم وبين النصراني، وغير ذلك من هذه الدعاوى.

فهذا الكلام الذي يقرره المصنف كله يتضمن الرد على مثل هذه الأمور، ولهذا أيها الإخوة لا يستهان بدراسة أمثال هذه المتون التي كتبها العلماء من مئات السنين، ففيها من تحصيل الإنسان، وفيها من حفظه، وفيها من دفع الشر عنه ما لا يخطر بباله.

المتن

قال المصنف -رحمه الله تعالى-: (أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ، وَأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَصَفَحَ لَهُمُ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كِبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يُتَبَّ مِنَ الْكِبَائِرِ صَائِرًا إِلَى مَشِيئَتِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨] وَمَنْ عَاقَبَهُ اللَّهُ بِنَارِهِ أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ.

الشرح

هذا الجزء الذي سمعناه من كلام المؤلف: يتعلق بأحد أصول الإيمان وهو: الإيمان باليوم الآخر والجزاء والثواب.

الفائدة السادسة والثلاثون: [ثبوت قيام الساعة وتحقق وقوعها].

[ثبوت قيام الساعة وتحقق وقوعها] هذا هو عنوان الفائدة، وهذا ظاهرٌ في كلام المؤلف حيث قال: (وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا) أي أن يوم القيامة آتٍ لا شك في ذلك أبداً.

ولا يُعلم أيها الإخوة والأخوات بالتحديد وقت هذا اليوم، من حيث السنة، أو الزمن، أو الشهر، ونحو ذلك إلا الله تعالى، وهذا صريح القرآن، وأيضاً صريح السنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] ونحو ذلك من الآيات في هذا الباب.

وبما قرر المؤلف -رحمه الله-: يُعلم أن ما ورد من الأحاديث في تحديد وقتها بوقتٍ معين من الشهور، أو من السنوات ونحو ذلك لا يثبت عن نبينا -صلى الله عليه وآله وسلم-.

كما قال السخاوي -رحمه الله- في كتابه العظيم "المقاصد الحسنة" قال: (وكل ما ورد مما فيه تحديد الوقت ليوم القيامة على التعيين، فإما أن يكون لا أصل له، أو لا يثبت إسناد، وما جاء من أن الساعة تكون في يوم الجمعة حق، لكن أي جمعة هذا علمه عند الله تبارك وتعالى).

ونقول هذا أيها الإخوة: لأنه ألفت في ذلك مؤلفات، وكتبت كتب في تعيين وقت قيام الساعة بأنها ستكون بعد كذا من السنوات، وهذا باطلٌ يرده القرآن والسنة.

الفائدة السابعة والثلاثون: [تعريف البعث].

[تعريف البعث]: يؤخذ هذا من قول المؤلف: (وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ)

وعلى هذا يقال: البعث هو إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم يوم القيامة. وهذا البعث للميت يشمل أيها الإخوة بعث الأرواح، ويشمل أيضًا بعث الأجساد، وفي معنى البعث ويرادفه من الكلمات والألفاظ الواردة في القرآن أو السنة لفظ "النشور"، ولفظ "المعاد"، فالمعاد، والنشور، والبعث كلها بمعنى واحد.

(فالنشور) معناه: سريان الحياة في الأموات وإحيائهم بعد موتهم، أو وإحيائهم من قبورهم. (والمعاد) قال أهل العلم: إعادة الأرواح والأجساد بعد موتها إلى الله.

وهذا البعث للأموات يعم أيها الإخوة من قُبر منهم ومن لم يقبر، فكلهم يبعثون من مات غرقًا، من مات والعياذ بالله وقد أحرقتة النار، من مات مقتولًا ورمي في الصحراء وأكلته الوحوش، فكل هؤلاء يبعثون كما أخبر ربنا تبارك وتعالى.

وهذا هو الذي قرره جمع من أهل العلم منهم ابن أبي العز - رحمه الله - في شرح "العقيدة الطحاوية"، قال الله جلّ وعلا: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] فقال الله جلّ وعلا ردًا عليهم: ﴿بَلَىٰ وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣٨]

الفائدة الثامنة والثلاثون: [صفةُ بعث الموتى].

[صفةُ بعث الموتى]: وهذا مستفادٌ من قول المصنف - رحمه الله - هنا: (كما بدأهم يعودون).

والله جلّ وعلا بدأ الخلق بأي صفة؟ وعلى أي حال؟ بدأهم حفاةً، عراةً، بهما ليس معهم شيء، غرلاً غير مختونين، هكذا خلقهم الله تعالى، وهكذا بدأهم جلّ وعلا.

ومن الأدلة على هذا: على ما قرر المصنف: ما رواه البخاري من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حَفَاةً عُرَاةً غُرُلًا»^(١)، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

الفائدة التاسعة والثلاثون: [مضاعفة الحسنات].

[مضاعفة الحسنات] والمقصود بمضاعفة الحسنات: تكثير ثوابها، بأن يضاف إليها أي إلى الحسنات، أو إلى الحسنة مثلها، أو أكثر منها مطلقاً بلا حد أو مقيداً بأجرٍ و ثوابٍ محدد.

وهذه المسألة بيانها في قول المصنف: (وَأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضَاعَفَ لعباده المؤمنين الحسنات).

ومضاعفة الحسنات أيها الأخوة على ثلاث مراتب:-

المرتبة الأولى: مضاعفة الحسنة إلى عشر حسنات، وهذا ثابت لكل الحسنات والأعمال الصالحة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]

المرتبة الثانية: مضاعفة الحسنة أكثر من عشر إلى سبعائة، مضاعفة الحسنة أكثر من عشر حسنات إلى سبعائة حسنة، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٦١] سبعة في مائة كم؟ سبعائة، طيب.

قال ابن رجب -رحمه الله- عند هذه الآية: (فدلت هذه الآية على أن النفقة في سبيل الله تضاعف بسبعائة).

المرتبة الثالثة: مضاعفة الحسنة أكثر من سبعائة إلى ما شاء الله، ومن أدلة هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوقِ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الحديد: ٢١] الأدلة كثيرة أيها الأخوة على هذا والأمثلة عديدة، لكن نحن مرادنا هو التأصيل والتقعيد للمسائل.

الفائدة الأربعون: [أقسام الذنوب].

نبه المصنف -رحمه الله- هنا على أن الذنوب على قسمين:

الأول: الكبائر.

والثاني: الذنوب الصغائر.

وهذا في قوله -رحمه الله-: (وَصَفَحَ لَهُمِ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كِبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمِ الصَّغَائِرَ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ)؛

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وقد دلّ القرآن، والسُّنة، وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم، والأئمة على أن من الذنوب كبائر وصغائر).

ومن الأدلة في هذا قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] فهذا الدليل صريح في أن الذنوب على قسمين كبائر وصغائر.

الفائدة الحادية والأربعون: [أسباب تكفير الذنوب].

بيّن المؤلف -رحمه الله- هذه المسألة بقوله: (وَصَفَحَ لَهُمِ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كِبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمِ الصَّغَائِرَ بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ)؛ إذا غُفِرَ الذنوب الصغائر مشروط بماذا؟ باجتنب الذنوب الكبائر، فغفران الذنوب الصغائر مشروط باجتنب الذنوب الكبائر.

ودليل هذا قوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمٍ﴾ [النساء: ٣١] فالمقصود بالسيئات في هذه الآية صغائر الذنوب، وأما الكبائر أيها الأخوة: فغفرانها والصفح عن مرتكبيها لا يكون إلا بالتوبة النصوح الصادقة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

قال المؤلف: (وَصَفَحَ لَهُم بِالتَّوْبَةِ) والمراد بالتوبة هنا التوبة الصادقة ذات الشروط المعروفة المقررة عند أهل العلم.

وهذه التوبة أيها الأخوة: لا غنى لمسلمٍ عنها، فكل مسلمٍ يجب عليه أن يتوب إلى الله هذه التوبة التي قد أمر بها في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (ولابد لكل عبدٍ من التوبة، وهي واجبةٌ على الأولين والآخرين).

الفائدة الثانية والأربعون: [حكم صاحب الكبيرة إذا مات عليها ولم يتب منها].

قرر المؤلف -رحمه الله- كما سمعنا أثناء القراءة: أن صاحب الكبيرة إذا مات عليها فإنه تحت مشيئة الله، ومعنى أنه "تحت مشيئة الله" أن أمره إلى الله، إن شاء سبحانه وتعالى غفر له، وعفا عنه، وتجاوز عن سيئاته، وإن شاء سبحانه وتعالى ادخله النار "والعياذ بالله" فعذبه بعدله على قدر ذنبه.

دلل المؤلف -رحمه الله- على هذا الاعتقاد بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

قال الطبري -رحمه الله- في تفسيره: (وقد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه ما لم تكن كبيرته شركاً بالله تعالى) انتهى كلامه.

الفائدة الثالثة والأربعون: [من أسباب خروج صاحب الكبيرة من النار].

إذا شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ودخل صاحب الكبيرة النار بعدله، وعذبه بذنوبه بعدله جَلَّ وعلا، فما هي أسباب خروجه منها؟
ذكر المؤلف سببين:-

الأول: الإيمان بالله تعالى وتوحيده.

والثاني: شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- لأهل الكبائر.
قال -رحمه الله- أعني المؤلف: (وَمَنْ عَاقَبَهُ اللَّهُ بِنَارِهِ أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ)،
هذا هو السبب الأول، (فَادْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ)، هذا هو السبب الثاني.
لماذا لا يخلد صاحب الكبيرة في النار كما يقوله معتزلة العصر والخوارج
ومن نحى منحاهم؟

نقول: لأنه مسلم يشهد الشهادتين، ويعتقد مدلول هذه الشهادة، ويعمل
بمقتضى ما تدل عليه، لكنه قد بدرت منه الذنوب التي أستحق بها العقوبة من الله
تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

استدل المؤلف هنا لما قرر للسبب الأول بقول تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ

ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ [الزلزلة: ٧] والمعنى؟ أن من يعمل العمل الصالح فإنه سيراه عند
الله مهما قل هذا العمل، ولو كان مثقال ذرة، لو وصل إلى هذا الحد اليسير من
القدر.

وأعظم الأعمال الصالحة الإيـان بالله تبارك وتعالى وتوحيده جلّ وعلا،
فمهما قلّ الإيمان في القلب وضعف ونقص، فإن صاحب الكبيرة سيخرج من
النار؛ لأن في قلبه أصل الإيمان وأساس التوحيد.

ويستدل أيها الأخوة: للسبب الثاني وهو الشفاعة بقول النبي -صلى الله
عليه وسلم-: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ
دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِّأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا
يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»^(١) والحديث رواه مسلم.

وما قرره المؤلف هنا أيها الأخوة: هو محل إجماع واتفاق بين أهل السنة
يقول الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- في رسالته المعروفة المشهورة
"رسالة إلى أهل الثغر" قال: (وأجمعوا على أن شفاعـة النبي ﷺ لأهل الكبائر من
أمتـه)، "واجمعوا"، قال: (وعلى أنه يخرج من النار قومًا بعد ما صاروا حميًا).

المتن

قال: وأن الله سبحانه قد خلق الجنة فأعدّها دارَ خُلُودٍ لأوليائه، وأكرمهم
فيها بالنظر إلى وجهه الكريم، وهي التي أهبّط منها آدم نبيّه وخليفته إلى أرضه، بما
سبق في سابق علمه.

(١) رواه مسلم (١٩٩).

وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَن كَفَرَ بِهِ وَأَلْخَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ،
وَجَعَلَهُمْ مَّحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَيْهِ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا؛ لِعَرْضِ الْأُمَمِ
وَحِسَابِهَا وَعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا، وَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ لَوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، فَمَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَفْلُحُونَ وَيُؤْتُونَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ
فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حَسَابًا يَسِيرًا وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصِلُونَ سَعِيرًا

الفائدة الرابعة والأربعون: [تعريف الجنة والنار].

الجنة أيها الأخوة هي الدار التي أعدها الله تبارك وتعالى للمتقين من عباده ، (تلك
الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) ، وهذا مستفاد من قول المؤلف (وَأَنَّ
اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِأَوْلِيَائِهِ) ، قال ابن القيم رحمه الله في
مدارج السالكين : (والتحقيق أن يقال: الجنة ليست اسما لمجرد الأشجار
والفواكه و الطعام والشراب والحدود العين والأنهار والقصور، قال: وأكثر الناس
يغلطون في مسمى الجنة ، فإن الجنة اسم لدار النعيم المطلق الكامل) انتهى كلامه.
والنار هي الدار التي أعدها الله للكافرين به و العياذ بالله ، والمعرضين عن دينه ،
وهذا مستفاد من قول المؤلف (وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَن كَفَرَ بِهِ وَأَلْخَدَ فِي
آيَاتِهِ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ)

الفائدة الخامسة والأربعون: [الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن].

قرر هذه المسألة المؤلف بقوله : (وَأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِأَوْلِيَائِهِ ثُمَّ قَالَ - وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَن كَفَرَ).

والمعنى أيها الأخوة أو الشاهد في قول المؤلف (فأعدها وأعدّها) ، إشارة إلى الأدلة الواردة في اثبات خلق الجنة والنار ووجودهما الآن ، كقوله تعالى : (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ) [آل عمران: ١٣٣] ، وقوله (وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [آل عمران: ١٣١]

قال الإمام أحمد رحمه الله : (فمن زعم أنهما لم تخلقا فهو مكذب فالقرآن وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار) انتهى كلامه.

الفائدة السادسة والأربعون: [الجنة والنار دائمتان باقيتان].

وقد أشار المؤلف إلى هذه المسألة بقوله : (فأعدها دار خلود) في شأن الجنة والنار ، والمعنى أن الجنة والنار دائمة وباقية وليست بفانية وأنها مستمرة إلى أبد الآباد ، ومن الأدلة الدالة على هذا أيها الأخوة ، الأدلة التي فيها الإخبار بخلود أهل الجنة وأهل النار خلوداً مؤبداً ، والآيات في هذا كثيرة ومنها قوله تعالى { جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } [البينة: ٨] ، والآيات في هذا كثيرة ، وفي شأن النار قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ

لِيَغْفَرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا (١٦٨) إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا {

[النساء: ١٦٨]

الفائدة السابعة والأربعون: [إثبات رؤية الله تبارك وتعالى].

والنظر أيها الأخوة إلى الله جل وعلا ورؤية وجهه الكريم من أعظم النعيم في الجنة ، وهو من الإكرام لأهلها ، كما قال المؤلف هنا (وأكرمهم فيها بالنظر إلى وَجْهِهِ الكريم) ، وهذه المسألة من أشرف مسائل الاعتقاد وأجلها ، والنصوص في إثباتها كتابا وسنة متضافرة ، قال ابن أبي العز رحمة الله وقبلة الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية لأن ابن كثير من شيوخ ابن أبي العز : (وقد روى الأحاديث الواردة في الرؤية نحو ثلاثين صحابيا ، ومن أحاط بها معرفةً يقطع بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قالها-يعني أنها متواترة لاشك في ثبوتها-) ، والمؤلف رحمه الله أشار إلى دليلين من القرآن ، الدليل الأول قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة: ٢٣] وذلك في قوله: (وأكرمهم فيها بالنظر إلى وَجْهِهِ الكريم) ، وجوه يومئذ ناضرة أي بهية مسرورة فرحة فيها نضرة ، إلى ربها ناظرة ، قال أهل العلم : والنظر إذا عدّي بآلى يكون معناه المعاينة بالأبصار ، والنظر هنا في الآية أضيف إلى ماذا؟ أضيف إلى الوجه ، فلا يتصور منه إلا المعاينة بالأبصار لأن العين محلها في الوجه .

الدليل الثاني الذي أشار إليه المؤلف هو قوله تعالى : {إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَّحَجُوبُونَ} [المطففين: ١٥] وذلك في قوله: (وَجَعَلَهُمْ مَّحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَيْهِ) ، وجه الدلالة : كما قرر الإمام الشافعي وغيره من أهل العلم : أن الله لما حجب أعداءه عن رؤيته عقوبة لهم ، دل ماذا؟ دل على أن أوليائه غير محجوبين عنه سبحانه جزاء لهم على حسن أعمالهم.

الفائدة الثامنة والأربعون: [إثبات رؤية الله تبارك وتعالى].

الجنة التي أهبط منها ادم عليه الصلاة والسلام ماهي ؟ ، أشار المؤلف إلى هذه المسألة بقوله : و هي التي أهبط منها ادم نبيه وخليفة إلى أرضه بما سبق في سابق علمة ، هذه المسألة عند علماءنا فيها اربعة أقوال ، أرجحها ما قرره المؤلف رحمه الله تعالى هنا و أخترارة في هذه الرسالة ، و أن الجنة التي أهبط منها ادم ، هي جنة الخلد ودليل هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ ، فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ ، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، اسْتَفْتَحْ لَنَا الْجَنَّةَ ، فَيَقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ)^(١) ، الحديث رواه مسلم ، قال أهل العلم وهذا يدل على أن الجنة التي أخرج منها ادم ، هي بعينها التي تطلب أن يستفتحها ، وليست بجنة أخرى والله أعلم .

(١) رواه مسلم (١٩٥)

الفائدة التاسعة والاربعون : [أثبت صفة المجيء لله تعالى].

وذلك يوم القيامة ، قد قرر المصنف هذه المسألة بقوله : (و أن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا ، والله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة ، ويأتي يوم القيامة للفصل بين العباد والقضاء بينهم) وقد أستدل المؤلف رحمه الله لهذه المسألة بقوله : **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾** الفجر: ٢٢ ، هذا دليل المسألة ، قال الامام ابو عمر الطلمنكي أحد أئمة المالكية: (أجمعوا أي أهل السنه على أن الله يأتي يوم القيامة **(وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)** ، لحساب الامم وعرضها كما يشاء وكيف يشاء) انتهى كلامه ، وصفة المجيء صفة فعلية ام ذاتية؟ صفة فعلية ، لماذا فعلية ؟ لأنها مرتبطة بالمشيئة ، إذاً هذه الصفه صفة حقيقية كغيرها من الصفات الفعلية ، فالله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة بذاته ، على ما يليق بكماله سبحانه وعلى الكيفية الأئقة به ، فالله تبارك وتعالى في هذه الاية **(وَجَاءَ رَبُّكَ)** ، أضاف المجيء الى من ؟ الى نفسه ، نعم طبقوا القاعدة التي أخذناها بالأمس ، أضاف المجيء الى نفسه فقال : **(وَجَاءَ رَبُّكَ)** ، فلا يصح بعد هذا أن يقال : جاء أمر ربك أو جاءت ملائكة ربك أو جاء عذاب ربك وحسابه ، لا يصح لماذا لا يصح ؟ لأنه تحكم في لفظ الآية ومعناها بغير دليل ، وهذا هو الظاهر من النص ، فلا بد من صرف هذا الظاهر بدليل واضح جلي ، حتى نقول يعني أن معناها كذا

أو كذا ولهذا قال الله جل وعلا: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ، فجعل للملائكة اتيان ، أو يأتي ربك فجعل الله اتيان أو يأتي بعض اية ربك فجعل للآيات اتيان ، وهذا يدل على أن لكل ذاتٍ ماذا؟ مجيئاً خاصاً يناسبه ، فما دام هذا المجيء قد أضيف إليه إذا له مجيءٌ يناسبه ويليق بذاته ، فالله تبارك وتعالى هنا قسّم المجيء و أضافه و الإضافة تقتضي ماذا؟ التخصيص.

الفائدة الخمسون: [العرض والحساب].

وهما-أي العرض والحساب- من مواقف يوم القيامة، والحساب أيها الأخوة يأتي في النصوص الشرعية على معنيين :

المعنى الأول: يطلق الحساب ويراد به الموازنة بين الحسنات والسيئات، وهذا يتضمن المناقشة، ويتضمن التشديد وبسببه والعياذ بالله يهلك المحاسب، حيث يستقصى الحساب على الأعمال التي قام بها العبد ويدقق عليه في صغير عمله وفي كبيره، وهذا هو الحساب العسير.

أما المعنى الثاني فيأتي الحساب في النصوص ويطلق ويراد به : عرض الأعمال على العامل ، وإيقاف العامل على أعماله وتعريفه بها ، وإقراره بصدورها هذه الأعمال السيئة منه، وهذا هو الحساب اليسير الوارد في النصوص، وهذا الحساب يتضمن السهولة ويتضمن التجاوز عن السيئات، ويتضمن العفو ، ويتضمن الخلو من المناقشة ، نسأل الله من فضله، ودليل هذا أيها الأخوة ما رواه البخاري ومسلم من

حديث عائشة رضي الله عنها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عَذَّبَ» قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا} [الانشقاق: ٨] قَالَ: «ذَلِكَ الْعَرُضُ»^(١)

فهذا صريح أيها الأخوة في أن الحساب غير العرض ، وقد جاء تفصيل العرض في نصوص عديدة ليس مجال لذكرها الآن.

ولنعلم أيها الأخوة أن الذي يتولى الحساب هو الله تبارك وتعالى ، كما قال المؤلف هنا: (وأن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة لعرض الأمم وحسابها)، قال سبحانه: {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} [الغاشية: ٢٥]، وليعلم أيضا أن هذا الحساب عام لكل أحد ويستثنى من ذلك ما استثنته النصوص الشرعية كالسبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

الفائدة الحادية والخمسون: [إثبات وضع الموازين يوم القيامة].

يعني نصبها وإحضارها ، قال المؤلف رحمه الله هنا (وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد) ، يعني تُحضر وتُنصب ، ودليل هذا ما ذكره المؤلف هنا بقوله أو ما أشار إليه في قول الله جل وعلا {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف: ٨] قال الإمام ابن أبي عاصم رحمه الله تعالى في كتاب

(١) متفق عليه.

السنة: (والأخبار التي في ذكر الميزان أخبار كثيرة صحاح، لا تذهب عن أهل المعرفة بالأخبار لكثرتها وصحتها وشهرتها وهي من الأخبار التي توجب العلم).

الفائدة الثانية والخمسون: [هل الميزان واحد أم متعدد؟].

الصواب أن الميزان واحد، هنا يقول المؤلف: (وتوضع الموازين)، فالمسألة فيها كلام لأهل العلم والصواب أن يقال: إن الميزان واحد، وأن ما ورد من الجمع في بعض النصوص راجع لتعدد الموزونات -أي الأشياء التي توزن من الأعمال أو الأشخاص أو الصحف- قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: (الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة)، وكذا رجح هذا الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في فتح الباري.

الشرح

الفائدة الثالثة والخمسون: [الموزونات].

[الأشياء التي توزن، أو الموزونات]: أشار المؤلف -رحمه الله- إلى هذه المسألة بقوله: (وَتَوْضَعُ الْمَوَازِينُ لَوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ).

فذكر -رحمه الله- أن الذي يوزن العمل، والصواب: أن هناك أشياء أخرى توزن يوم القيامة: ألا وهي العامل، يعني صاحب العمل، كما في حديث ابن مسعود، ومما يوزن كذلك صُحف الأعمال التي تدون فيها أعمال بني آدم، كما دلّ على ذلك حديث البطاقة المشهور،

وهذا هو الذي قرره الحافظ ابن كثير في تفسيره -رحمه الله-، وابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية، وغيرها.

الفائدة الرابعة والخمسون: [نشر الصحف].

[نشر الصحف]: وهذا أعني نشر الصحف أحد مشاهد يوم القيامة، والمراد بالصحف إخواني: كتب الأعمال التي دُوِّن فيها ما عمله العاملون من خيرٍ وشر، فهذه الصحف تُنشر يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]

قال ابن حزم -رحمه الله-: (وأن الصحف التي تكتب فيها أعمال العباد حقٌ نؤمن بها، ولا ندرى كيف هي! وأن الناس يعطون كتبهم يوم القيامة) انتهى كلامه.

قال الله جلّ وعلا: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤-١٣]

الفائدة الخامسة والخمسون: [أقسام الناس بعد نشر الصحف].

[أقسام الناس بعد نشر الصحف]: نبه المؤلف -رحمه الله- على هذه الأقسام بقوله: (فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيرًا).

إذا أقسام الناس بعد نشر الصحف ينقسمون إلى قسمين:-

الأول: من يُعطى صحيفة أعماله بيمينه.

والثاني: من يُعطى صحيفة أعماله بشماله وراء ظهره، ودليل هذا: آية الانشقاق المشهورة المعروفة.

الفائدة السادسة والخمسون: [إثبات الصراط].

[إثبات الصراط]: قال المؤلف -رحمه الله تعالى-: (وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَنَاجُونَ مُتَفَاوِثُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ).

فنقول الفائدة السادسة والخمسون: إثبات الصراط، قال المصنف: (وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ) يعني أنه ثابت لا شك فيه، لماذا؟ لورود النصوص الشرعية وتواترها بذلك، وأنه صراطٌ حقيقيٌّ له أوصافه الخاصة به، التي وردت بها النصوص.

قال السفاريني -رحمه الله- في "لوامع الأنوار": (والحَقُّ أَنَّ الصِّرَاطَ وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ بَغَيْرِ تَأْوِيلٍ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ وَالْمَسَانِيدِ وَالصَّحَاحِ مِمَّا لَا يَحْصَى إِلَّا بِكُلْفَةٍ، مِنْ أَنَّهُ جَسْرٌ مَضْرُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، يَعْنِي عَلَى ظَهْرِ جَهَنَّمَ، يَمْرُ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ).

ومن الأدلة التي أشار إليها السفاريني - رحمه الله - قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «**ثُمَّ يُضْرَبُ الْجَسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ**».^(١) هذا بارك الله فيكم ما يتعلق بهذه الفائدة.

الفائدة السابعة والخمسون: [أقسام المارين على الصراط وأحوالهم].

[أقسام المارين على الصراط وأحوالهم]: قرر المؤلف - رحمه الله - هذه المسألة بقوله: (يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَنَاجُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ)؛ فيقال في توضيح كلام المصنف: قسم المؤلف - رحمه الله - الناس وصنفهم من حيث النجاة، والسقوط أثناء المرور على الصراط إلى قسمين:

الأول: (الناجون) وهؤلاء على نوعين: -

الأول: ناجون مُسَلَّمُونَ، ومعنى مُسَلَّمُونَ: أي أنهم يثبتون على الصراط من أوله إلى نهايته، وهؤلاء يتفاوتون في السرعة على الصراط، منهم من يكون كالبرق، ومنهم من يكون كالريح، ومنهم من يكون كمشي الرجال، ومنهم من يكون كمر الطير، ومنهم من يكون كإنقباض الكوكب، كل ذلك ثبت عن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -.

النوع الثاني: من القسم الأول: ناجون مخدوشون، ومعنى ذلك أنه قد تصيبهم كلاليب جهنم والعياذ بالله، وقد يصلهم شيءٌ من النار فيتضررون

(١) رواه البخاري (٧٠٠١).

بذلك، فهؤلاء ينجون لكن هذه النجاة تكون بعد معاناة عند المرور على الصراط، وفي أحد أفراد هذا النوع يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً».

ما معنى «وَتَسْفَعُهُ النَّارُ»؟ تضرب وجهه، «وَتَسْفَعُهُ النَّارُ فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا» وصل إلى نهاية الصراط «الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ»^(١) رواه مسلم.

القسم الثاني: ذكره المؤلف بقوله: (وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ)، القسم

الثاني من أقسام الناس من حيث النجاة والسقوط أثناء المرور على الصراط. قال: (وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ) يعني أنهم والعياذ بالله يقعون في نار جهنم بسبب أعمالهم الخبيثة، وفي هؤلاء يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: «فَمِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ»، أي الهالك بسبب أعماله السيئة، نسأل الله العافية.

والمرور على الصراط إخواني قوةً وضعفاً على حسب السرعة والمسارة إلى الأعمال الصالحة في هذه الدنيا، فأسرع الناس سعيًا في الأعمال الصالحة في هذه الدنيا هم أسرع الناس مرورًا على الصراط يوم القيامة.

والمرء أيها الإخوة هو من صدق في نجاة نفسه، وكان ناصحًا لها فاجتهد في أن يسرع في هذه الدنيا، لكي يسرع في الدار الآخرة، والموفق من وفقه الله.

المتن

قال المؤلف - رحمه الله -:

والإيمان بحَوْضِ رسولِ الله ﷺ ، تَرَدُّهُ أُمَّتُهُ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ.

وَأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بزيادةِ الأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا، فَيَكُونُ فِيهَا النِّقْصُ وَبِهَا الزِّيَادَةُ، وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ، وَأَنَّهُ لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

الشرح

الفائدة الثامنة والخمسون: [وجوب الإيمان بالحوض].

وذلك في قوله: (والإيمان بحَوْضِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم) وهذا الإيمان إخواني يشمل أمورًا ثلاثة: -

الأمر الأول: الإقرار بوجوده، وأنه مخلوقُ الآن وموجود.

الأمر الثاني: الإيمان بصفات الحوض من حيث المساحة، ومن حيث الشكل، ومن حيث الطعم، ومن حيث عدد الأواني، ومن حيث اللون، ومن حيث الرائحة، كل هذا داخل في الإيمان بالحوض.

الأمر الثالث: الإيمان بما يتصل بالحوض من المواقف، وما يجري عنده من الأحداث المتعلقة به.

الفائدة التاسعة والخمسون: [أقسام المطرودين عن الحوض].

[أقسام المطرودين عن الحوض]: وقد نبه المؤلف -رحمه الله-: على هذه المسألة بقوله: (وَيَذَاذُ عَنْهُ) يعني يدفع ويطرد (وَيَذَاذُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيْرَ): أي بَدَّلَ في أحكام الله وغير في شريعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

والمطرودون عن الحوض أصناف:-

الصنف الأول: المرتدون عن دين الله ﷻ.

الصنف الثاني: المبتدعة، وأهل الأهواء.

الصنف الثالث: أصحاب الكبائر، وأهل المعاصي.

قال ابن عبد البر -رحمه الله- في التمهيد: (وكل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله، ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض، المبعدين عنه) والله أعلم.

قال: وأشدّهم طردًا من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم مثل: الخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم يبذلون.

وكذلك الظلمة، والمسرفون في الجور، وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر، المستخفّون بالمعاصي، وجميع أهل الزيغ والأهواء والبدع، فكل هؤلاء نسأل الله جلّ وعلا أن يعافينا وإياكم من المطرودين عن الحوض.

وليُعلم أيها الإخوة: أن الحوض غير الكوثر، وبينهما فروقٌ تصل إلى أربعة فروق تقريباً.

والمنبغي في حق المسلم أن يسعى بالوسائل الشرعية؛ إلى أن يكون من أهل حوض رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومن خير هذه الوسائل بعد إتباع السنة وتحقيق الإتيان الدعاء، فإن الدعاء من أعظم الوسائل.

روى ابن أبي عاصم في السنة بإسنادٍ صحيح، كما قال ذلك الألباني -رحمه الله: (أن ابن زياد ذكر عنده الحوض فأنكر ذلك، فبلغ ذلك أنس بن مالك رضي الله عنه، فقال رضي الله عنه: أما والله لأسوأه غداً فقال: أي أنس، ما أنكرتم من الحوض، قالوا: سمعت النبي ﷺ يذكره، قال: أنس نعم -وتنبهوا للكلام الآتي-، قال: ولقد أدركت عجائز بالمدينة لا يصلين صلاةً إلا سألنا الله تعالى أن يوردهن حوض محمد ﷺ، فنسأل الله جلّ وعلا أن يوردنا حوض نبيه ﷺ).

الفائدة الستون: [حقيقة الإيمان].

[حقيقة الإيمان]: وأعني بذلك معناه شرعاً، وهو ما قرره المؤلف -رحمه الله- هنا بقوله: (وَأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ)؛ هذه هي حقيقة الإيمان عند أهل السنة مركبة من هذه الأمور الثلاثة، إيمانٌ بالقلب، (قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ).

ودليل هذا قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً» أي خصلة، «فَأَفْضَلُهَا قَوْلٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» هذا قول اللسان،

القواعد والفوائد المستفادة من مقدمة ابن أبي زيد القيرواني المالكي
 «وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»، وهذا عمل الجوارح، «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ
 الْإِيمَانِ»^(١). هذا عمل القلب.

ربما أيها الإخوة: تقفون في بعض كلام أهل العلم، وفي الآثار الواردة
 عنهم أنهم يقولون: الإيمان قولٌ وعمل ويسكتون، وهذا لا يعارض ما قرره
 المصنف -رحمه الله- هنا، فإن من قال الإيمان قولٌ وعمل فإنه: يريد بالقول قول
 القلب يعني اعتقاده وإقراره؛ ويريد كذلك بالقول قول اللسان وهو النطق
 بالشهادتين.

ويريد بالعمل عمل القلب، وهي الأعمال الباطنة التي تؤدي بالقلب
 (كالرجاء، والخوف، والرغبة، والإخلاص، إلى غير ذلك من الأعمال القلبية).
 ويريد كذلك عمل اللسان: وهي الطاعات التي تؤدي باللسان
 (كالأذكار، والنصيحة، والتسبيح، والتهليل إلى آخره، والدعوة إلى الله، والأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر) هذه كلها عبادات تؤدي باللسان.

ويريد كذلك عمل الجوارح وهي الأعمال والطاعات التي تؤدي
 بالجوارح (كالصلاة، وبر الوالدين، ونحو ذلك).
 وهذا نبه عليه شيخ الإسلام -رحمه الله- في مجموع الفتاوى في المجلد
 السابع صفحة مائة و واحد وسبعين.

(١) رواه البخاري (٩)، مسلم (٣٥).

وقد أكد المؤلف على هذه الحقيقة الشرعية للإيمان فقال: (ولا يَكْمُلُ قَوْلُ
الإيمانِ إِلَّا بالعمل، ولا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، ولا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ
السُّنَّةِ).

ومعنى هذه العبارة كما قرر بعض أهل العلم أنه لا بد من اجتماع هذه
الأمر الثلاثة: (القول، العمل، الاعتقاد) لا بد من اجتماع هذه الأمور الثلاثة في
الإيمان، وبهذا يعتبر الإيمان صحيحاً سليماً.

فلا يجزئ وجود أحد هذه الأمور عن البقية، فالاعتقاد لا يكفي عن
القول، والقول والاعتقاد لا يكفي عن العمل، بل لا بد من العمل، فالعمل داخلٌ
في مسمى الإيمان، وأن العمل لا بد أن يكون قائماً على اعتقاد صحيح، ونية
صالحة، وقصد حسن، وأنه لا بد في القول والعمل والنية من موافقة سنة النبي
ﷺ، وبهذا الذي ذكرت لكم تتابعت الآثار عن سلفنا الصالح -رحمة الله تعالى
عليهم-.

الفائدة الحادية والستون: [الإيمان يزيد وينقص].

وهذه المسألة أيها الإخوة من المسائل العقدية الكبيرة، وهي مسألة لا تقبل
الاشتباه أبداً لا من جهة الشرع، فالشرع يدل على أن الإيمان يزيد وينقص، ولا
من جهة الحس والواقع فكل مسلم يحس في نفسه أن إيمانه يزيد وأنه ينقص،
والواقع شاهدٌ بذلك.

القواعد والفوائد المستفادة من مقدمة ابن أبي زيد القيرواني المالكي

وقد جاء التصريح أيها الأخوة: بزيادة الإيمان في ستة مواضع من القرآن، في سورة آل عمران، والأنفال، والتوبة، والأحزاب، والفتح، والمدثر.

وفي نقصان الإيمان يقول -عليه الصلاة والسلام-، «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتٍ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِيْذِي لُبٍّ مِنْكُمْ»^(١) فنصّ على نقصان الدين، فدلّ هذا على أن الإيمان يضعف في القلب وأنه ينقص.

الفائدة الثانية والستون: [من أسباب زيادة الإيمان].

بيّن المؤلف -رحمه الله- هذه المسألة في قوله: (يزيد بزيادة الأعمال، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا)

هذا إخواني أحد الأسباب التي بها يزيد الإيمان وهي: الإقبال على طاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والعمل بالعبادات المتنوعة التي جاءت في شريعة رب العالمين ﷺ. وهناك أسباب أخرى تجدونها مفصلة في الكتاب "زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه" لشيخنا عبد الرزاق البدر، وكذلك تجدونها في "رسالة فتح رب البرية في تلخيص الفتوى الحموية" للشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

الفائدة الثالثة والستون: [أسباب نقصان الإيمان].

تنقسم إخواني أسباب نقصان الإيمان إلى قسمين:

(١) رواه أبو داود (٤٠٦٢)، ابن ماجه (٤٠٠١).

القسم الأول: نقص لا اختيار للإنسان فيه أبداً، وهذا كترك الصلاة بالنسبة للمرأة في فترة العذر الشرعي، ففي هذه الفترة يضعف إيمانها وينقص، لكنها لا تؤاخذ على ذلك ولا تأثم به؛ لأنه ليس باختيارها.

والقسم الثاني: نقص باختيار الإنسان، وهذا على نوعين:

النوع الأول: نقص بسبب ترك الواجبات والفرائض.

والثاني: نقص بسبب فعل المحرمات وانتهاك المعاصي والعياذ بالله.

وخلاصة ما تقدم:

ما قرره الإمام البغوي -رحمه الله- بقوله: (وقالوا) أي أهل السنة إن الإيمان قولٌ وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، على ما نطق القرآن بالزيادة، وجاء في الحديث بالنقصان في وصف النساء.

الفائدة الرابعة والستون: [حكم مرتكب الكبيرة].

يعني من جهة إيمانه، أو كفره، أو فسقه، وهذه المسألة تسمى عند العلماء، أو عند بعض أهل العلم، وفي بعض المصنفات العقدية بمسألة الفاسق الملي.

"الفاسق الملي" يعني الذي هو في إطار شريعة الإسلام وملة الإيمان، تقدمت الإشارة بالأمر إلى هذه المسألة، وعقيدة أهل السنة في هذا الصنف من

الناس ما قرره المؤلف هنا بقوله: (وأنه لا يكفر أحدٌ بذنب من أهل القبلة)

السؤال هنا: ما هي الذنوب التي يعينها العلماء هنا، وأنه (وأنه لا يكفر

أحدٌ بذنب)؟ وأن مرتكبها لا يكفر بسببها؟!

أجاب على هذا شيخ الإسلام - رحمه الله - ابن تيمية بقوله: (ونحن إذا قلنا أهل السنة متفقون على أنه لا يكفر بالذنوب، فإنما نريد به المعاصي كالزنا، والشرب) إلى آخر كلامه.

والتكفير أيها الإخوة: حكم شرعي له أصوله، وله ضوابطه، وله قواعده، وله أسسه في شريعتنا، ولا يجوز أن يحكم على أحد بالكفر هكذا جزافاً، أو يُحكم بالردة والعياذ بالله على الناس من غير مراعاة؛ لقواعد الشرع، ولا نظر إلى شروط الحكم على المرء بالتكفير، ولا أيضاً النظر إلى الموانع التي قد تمنع من الحكم عليه بالتكفير.

فالحكم على الشخص بالتكفير لابد من توفر شروط، ولا بد من انتفاء موانع، ولا بد أيضاً من ثبوت أن هذا الذنب مكفر، فلا بد أن ننتبه لمثل هذه المسألة.

السؤال: لماذا يورد أهل السنة هذه المسألة في كتب الاعتقاد؟

والجواب أيها الإخوة: بين هذا شيخ الإسلام - رحمه الله - بقوله: (ولهذا قال علماء السنة في وصف اعتقاد أهل السنة والجماعة، إنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنوب، قال: إشارة إلى بدعة الخوارج المكفرة لمطلق الذنوب) انتهى كلامه - رحمه الله تعالى.

المتن

قال المصنف - رحمه الله -: وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ، ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ، وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

الشرح

الفائدة الخامسة والستون: [أقسام الأرواح، وأحوالها في البرزخ].

[أقسام الأرواح، وأحوالها في البرزخ]: وهي قسمان:

القسم الأول: أرواحٌ سعيدة.

القسم الثاني: أرواحٌ شقية.

بيّن المؤلف هذه المسألة بقوله: (وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)؛

وخلاصة هذه المسألة أيها الإخوة: ما دلت عليه الأحاديث كحديث البراء

بن عازب الطويل، وحديث أبي هريرة، وحديث كعب ابن مالك، وغيرهم - رضي الله تعالى عنهم -.

من أن روح المؤمن بعد خروجها من البدن تصعد إلى السماء، وأنها في عليين، وأنها في الجنة، وأنها مع الأرواح الطيبة، فيكون حالها في البرزخ كما قال المؤلف: (بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) نسأل الله من فضله.

وهذا النعيم أيها الإخوة كما أنه للأرواح، فإنه أيضًا للأبدان باتفاق السلف، كما قرر ذلك شيخ الإسلام في الفتاوى الرابع مائتين اثنين وثمانين. والعكس حفظكم الله في الأرواح الشقية فحالتها كما قال المؤلف: (مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) ويدخل في الأرواح الشقية أرواح الكفار، وأرواح المنافقين، وأيضًا أرواح أهل الكبائر والذنوب والعظائم، وأهل المجاهرة والعياذ بالله والاستخفاف بالمعاصي، إن ماتوا على ذلك وأصروا عليها ولم يبالوا بحق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في ذلك، كما يدل عليه حديث سمرة رضي الله عنه في البخاري.

الفائدة السادسة والستون: [حال أرواح الشهداء].

[حال أرواح الشهداء]، يبين المؤلف هذه المسألة بقوله: (وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) والشهيد أيها الإخوة هو (مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ)، ومن جاء أيضًا وصف ميته بالشهادة، في النصوص كالغريق، وكالمبطون الذي يموت بسبب بطنه، ونحو ذلك، فمن جاء وصفه في النصوص بأنه شهيد فإنه يحكم له بالشهادة.

ودليل ما قرر المؤلف هنا من أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فأخبر الله جلّ وعلا عن هؤلاء الشهداء في هذه الآية بأمرين:

الأمر الأول: أنهم أحياء.

والأمر الثاني: أنهم يرزقون.

وتفاصيل هذه الحياة: جاء بيانها في عدد من الأحاديث عن النبي -عليه الصلاة والسلام-، منها: حديث ابن عباس عند أبي داود والإمام أحمد، ومنها حديث ابن مسعود رضي الله عنه عند مسلم.

الفائدة السابعة والستون: [فتنة القبر].

[فتنة القبر]: القبر أيها الإخوة، أو منازل الآخرة كما قال عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ»^(١)

وفي القبر عدة أهوال:

الأول: فتنة القبر، وهذا الذي قرره المؤلف هنا بقوله: (وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسَأَّلُونَ) ما معنى فتنة القبر؟

نأخذ التعريف من كلام المؤلف، قال: (وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ) إِذَا فُتِنَ الْقَبْرُ هِيَ سَوَالُ الْمَيِّتِ وَاجْتِبَارُهُ عَنْ رَبِّهِ، وَدِينِهِ، وَنَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فَيَسْأَلُ عَنْ هَذِهِ الْأَصُولِ الثَّلَاثَةِ.

هذه المسألة أوردها المؤلف وبيّن دليلها، وهو قول الله جلّ وعلا: ﴿يُثَبِّتُ

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

روى البخاري ومسلم من حديث البراء بن عازب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]»^(١).

الأمر الثاني: يترتب على هذه الفتنة التي تحصل في القبر نعيم القبر، أو عذابه، فإن وفق للإجابة أن منعماً، وإن لم يوفق كان والعياذ بالله معذباً.

الأمر الثالث الذي في القبر من الأهوال: ضمة القبر أو ضغطة القبر: وقد ورد في ذلك عدة أحاديث منها قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَوْ نَجَا أَحَدٌ مِنْ ضَمَّةِ الْقَبْرِ، لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ، وَلَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ رُخِيَ عَنْهُ»^(٢) يعني سهل عليه.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه الطبراني (١٠٨٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٠٦).

ولكل ما تقدم من فتنة القبر، وضمة القبر، ونعيم القبر، وعذابه أحكام أيها الإخوة وتفاصيل ترونها إن شاء الله في المطولات.

الفائدة الثامنة والستون: [كتابة أعمال العباد].

وهذه إحدى وظيفة الملائكة قرره المؤلف - رحمه الله - هنا بقوله: (وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ) والحفظة هم الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد في صحف الأعمال هؤلاء هم الحفظة.

ودليل ما قرره المصنف قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١] وهؤلاء الحفظة عددهم اثنان أحدهما: عن اليمين، والآخر عن الشمال.

وفي قول المصنف: (وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ) هذه الكتابة تعم كل ما يصدر عن الإنسان من الأقوال، ومن الأعمال، ومن النيات، والمقاصد، والإرادات، ومن الخير، ومن الشر إلى آخره..، كما قال الله جلّ وعلا: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ [القمر: ٥٣-٥٢].

الفائدة التاسعة والستون: [قبض الأرواح عند الموت].

وهذه وظيفة أخرى من وظائف الملائكة، فإن منهم من وكل بقبض الأرواح عند الموت، قال المؤلف - رحمه الله -: (وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ)؛

ودليل هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١] وهذا التوفي من ملك الموت شاملٌ لجميع المخلوقات، ولسائر الأرواح من جن، وإنس، وكفار، ومسلمين، وعصاة، ومنافقين، وغيرهم. ولا يشكل أيها الإخوة على ما بين المصنف من أن ملك الموت يقبض الأرواح قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٧]؛ لأن المراد في هذه الآية هنا في إسناد التوفي إلى الملائكة: باعتبار إعانة الملائكة ملك الموت عند نزع الأرواح، فإن لملك الموت أعواناً يساعدونه على ما وكّله الله تبارك وتعالى به.

الفائدة السبعون: [اسم ملك الموت].

اسم ملك الموت : ملك الموت ، وليس له اسماً آخر، فاسمه كما سماه الله في القرآن: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١]. قال الشيخ الألباني -رحمه الله- في تعليقه على العقيدة الطحاوية: (هذا هو اسمه في القرآن، وأما تسميته بعزرائيل كما هو الشائع بين الناس فلا أصل له، وإنما هو من الإسرائيليات) انتهى كلامه.

المتن

قال المؤلف -رحمه الله-:

وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.

وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ؛ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ
ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَنْ لَا يُذَكَّرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِأَحْسَنِ
ذِكْرٍ، وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنْهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ، أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ
الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ.

وَالطَّاعَةِ لِأُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وُلاَةِ أُمُورِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ، وَاتِّبَاعِ السَّلَفِ
الصَّالِحِ وَاقْتِفَاءِ آثَارِهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ، وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَتَرْكُ مَا
أَخَذَتْهُ الْمُحْدِثُونَ.

الشرح

الفائدة الحادية والسبعون: [حد الصحبة المعتبرة].

[حد الصحبة المعتبرة]: يعني تعريف الصحابي، جاء بيان هذا عند المؤلف
بقوله: (وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآمَنُوا
بِهِ) فاشتمل بيان المؤلف -رحمه الله- على أمرين في بيان حد الصحبة: -

القيد الأول: الرؤية، وهذا على العموم والأغلب، فلا يعني هذا أن من كان
ضريراً ليس بصحابي من الصحابة لا، وهذا في قوله: (الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

القيد الثاني: الإيـان في قوله: (وآمنوا به) وهذا التعريف عليه جمهور المحدثين وهو قول البخاري -رحمه الله تعالى-، وعلي ابن المديني، والإمام أحمد وغيرهم.

الفائدة الثانية والسبعون: [حقوق الصحابة].

[حقوق الصحابة]: وهي في غاية الأهمية: من الإحسان إلى الصحابة - رضي الله عنهم - أيها الإخوة، أن تؤدّي حقوقهم، وأن يراعى الواجب الشرعي نحوهم، وقد ذكر المؤلف -رحمه الله - هنا في هذا الجزء الذي سمعناه عدة حقوق، وتوضيحها على النحو الآتي:

الحق الأول: اعتقاد أنهم خير الناس وأفضلهم على الإطلاق بعد الأنبياء.

وهذا صريح في قول المؤلف: (وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وعلى هذا دلت الأحاديث.

الحق الثاني: اعتقاد أن الصحابة على درجات في الفضل والقدر والمنزلة، فليسوا على درجة واحدة في القدر وهذا حق، فالنصوص الشرعية دلت على أن الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - يتفاضلون.

ولهذا قال المؤلف: (وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيُّينَ) إلى آخره...، والخلفاء الراشدون ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة كما قرر

المصنف هنا، وهذا هو الذي أستقر عليه أمر أهل السنة والجماعة وانهقد عليه إجماعهم.

قال الحافظ ابن عبد البر -رحمه الله تعالى-: (وأهل السنة اليوم على ما ذكرت لك من تقديم أبي بكر في الفضل على عمر، وتقديم عمر على عثمان، وتقديم عثمان على علي رضي الله عنهم-)، انتهى كلامه.

الحق الثالث من حقوق الصحابة: قبره المؤلف في قوله: (وأن لا يُذكر أحد من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا بأحسن ذكر) والمعنى أنهم -رضي الله عنهم- لا يُذكرون إلا بأفضل ما تنطق به الألسنة من الشاء عليهم، ومن الكلام الجميل فيهم -رضي الله عنهم-، ويدخل في ذكرهم:

- بأحسن ذكر نشر محاسنهم،
- الدفاع عن أعراضهم،
- وصفهم بما ثبت به النصوص الشرعية -رضي الله تعالى عنهم-.

الحق الرابع من حقوقهم: الكف عما شجر بينهم من خلاف، وعدم الخوض في ما وقع بينهم من حروب، ومن نزاعات، وبيان هذا الحق في قول المؤلف -رحمه الله- هنا: (والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس، أن يُلتَمَسَ لهم أحسن الخارج، ويُظَنَّ بهم أحسن المذاهب)؛

الخارج يعني الأعذار، تطلب لهم الأعذار، والمذاهب يعني المسالك الصحيحة المستقيمة تجاههم -رضي الله عنهم-.

الحق الخامس من حقوقهم - رضي الله عنهم - الذي قرره المصنف هنا: هو الإقتداء بهم، والسير على منهاجهم، والأخذ بهديهم، وفي هذا الحق يقول المؤلف هنا: (وَاتَّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ واقتفاء آثارهم)؛

يقول الإمام أحمد رحمه الله: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والإقتداء بهم".

الحق السادس: من حقوقهم التي أوردها المؤلف هنا: الدعاء لهم، وذلك بالترضي عنهم والاستغفار لهم، وهذا واضح في قول المؤلف - رحمه الله - (والاستغفار لهم) أي سؤال الله جلّ وعلا لهم المغفرة.

هذا حاصل ما ذكره المؤلف - رحمه الله - من واجبات نحو الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - وتحت كل حق أيها الأخوة أدلة ومسائل لا بد من العلم بها.

الفائدة الثالثة والسبعون: [موقف أهل السنة من العلماء الأمراء]

وبيان هذه المسألة في قول المؤلف: (وَالطَّاعَةُ لِأئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وُلاَةِ أُمُورِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ)؛

ودليل هذا مشهور وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ

وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]

والمراد بأولي الأمر في هذه الآية ما قرره المصنف : (الأمراء والعلماء) ، وهذا المعنى استظهره ابن كثير في تفسيره، وجزم به شيخ الإسلام ابن تيمية، وصوّبه العلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-.

ولا يخفى أن هذه الطاعة مقيدةٌ بطاعة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولكل من الصنفين أيها الإخوة العلماء والأمراء حقوق منها ما هو مشترك، ومنها ما هو خاصٌّ لأحد الصنفين، على المسلم أن يراعي ما جاء لهما عند هذين الصنفين من حقوق.

الفائدة الرابعة والسبعون: [حكم المراء والجدال في الدين].

المراء هو الجدل والخصومة، كما قال أهل العلم على وجه الشك أو العبث (هذا هو المراء)، والجدال هو شدة الخصومة؛ لإرادة إبطال الحق، أو طلب الغلبة والعياذ بالله.

بيّن المؤلف حكم هذا العمل بقوله: (وَتَرَكُ المراءِ والجِدَالِ في الدِّينِ) وعلمناؤنا أدرجوا هذه المسألة في كتب الاعتقاد لمقاصد وأسباب:

منها: لأن ترك الجدال، واجتناب المراء في الدين من أسباب الثبات على الاعتقاد الصحيح، وعلى الحق.

ومن هذه المقاصد أيضاً: صيانة الاعتقاد وحفظه من تطرق الشك إليه، أو الاضطراب فيه.

ومنها كذلك: سد الآثار السيئة التي من خلالها يحصل ما يحصل من الآثار التي تُدخل على المرء الشكوك في دينه وعقيدته وإيمانه.

والآثار ليست بالسهلة فهي تؤدي إلى:

- ضعف الإيمان
 - وإلى الخروج عن هدي السلف
 - وإلى تنقص الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - وأرضاهم
 - وإلى رد السنن
 - وإلى القول على الله بلا علم إلى غير ذلك
- كل هذه الأمور من الآثار السيئة للجدال والمراء في الدين، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجَدَلَ»^(١)، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨].

والمعنى كما قاله بعض الشراح: ما كانت ضلالتهم ووقوعهم في الكفر إلا بسبب الجدال، وهو الخصومة بالباطل.

بقي أن يقال إذا احتيج للجدال، وكان القصد منه بيان الحق، وإظهار الحق، والتدليل عليه فإنه مطلوب هذا هو المنهج الشرعي.

(١) رواه الترمذي (٣٢٥٣).

قال الحسن البصري -رحمه الله-: (المؤمن لا يباري ولا يداري، ينشر حكم الله، فإن قبلت منه حمد الله، وإن ردت حمد الله).

ولهذا قال الذهبي -رحمه الله-: (والخصومة مبدأ الشر، وكذا الجدل والمراء، فينبغي للإنسان ألا يفتح عليه باب الخصومة إلا لضرورة لا بد منها) هذا هو القيد الشرعي، وهذا هو السبيل الصحيح.

الخاتمة

ختام الفوائد أيها الإخوة، في هذه الرسالة المباركة النافعة:

الموقف الشرعي من الإحداث في الدين، بين المصنف -رحمه الله- هذه المسألة بقوله: (وَتَرَكْ مَا أَحَدَثَهُ الْمُحَدِّثُونَ) والمعنى هجران وعدم مقاربة كل الذي أحدثه المبتدعة، وأهل الأهواء فنسبوه إلى الدين مما هو غير معروف بالكتاب أو السنة.

لماذا قرر أئمة السنة هذه المسألة في كتب الاعتقاد؟

والجواب أيها الإخوة: لأن الإحداث في الدين والابتداع فيه ينافي الانقياد للسنة، ويصرف عن إتباع الشر، ويصد عن لزوم الكتاب والسنة؛ ولأن الأحداث في الدين هو أصل كل شر.

فالفرقة، والعقائد الباطلة، ورد السنن، ومصادمة النصوص بالعقل كل هذا أساسه البدع والعياذ بالله، وهذا الترك الذي نبه عليه المصنف للبدع يشمل:

الأقوال المبتدعة.

والأعمال المبتدعة.

والعقائد الفاسدة المبتدعة.

قال ابن رجب -رحمه الله-: (فكل من أحدث شيئاً في الدين، فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصلاً من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، وسواء كان ذلك في مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة).

ما السبيل إلى الخروج من هذا؟

السبيل إلى العلاج أيها الإخوة، ورد هذه البدع والقضاء عليها:

• هو العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله بفهم أصحاب نبيه -صلى الله عليه وسلم-

• والالتفاف حول علماء أهل السنة

• والإقبال على أهل العلم الشرعي الصحيح

• والحذر من البدع والمحدثات على اختلاف أنواعها

• وكذا مجالبة الجدل والمراء والابتداع في دين الله جلّ وعلا.

قال سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وسلم تسليماً كثيراً،

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، جزاكم الله خيراً، وبارك الله فيكم.

المحتويات

٢	أَمَّا بَعْدُ ؛
٥	الثمار العظيمة من العقيدة الصحيحة
١٣	الفوائد العظيمة في هذه الرسالة
١٣	الفائدة الأولى: بيان معنى الترجمة
١٥	الفائدة الثانية: الإيمان بالقلب والنطق باللسان
١٧	الفائدة الثالثة أقسام النفي في باب صفات الله ﷻ
١٩	الفائدة الرابعة
٢٠	الفائدة الخامسة: بلوغ حقيقة الصفة مستحيل
٢٢	الفائدة السادسة: أقسام التفكير
٢٤	الفائدة السابعة: عنوانها أسماء الله توقيفية
٢٥	الفائدة الثامنة: إثبات صفة الفوقية
٢٦	الفائدة التاسعة في أقسام العلو
٢٦	الفائدة العاشرة: فائدة إطلاق لفظ الذات عند بيان صفة العلو
٢٧	الفائدة الحادية عشرة: وأنه فوق عرشها المجيد بذاته
٢٨	الفائدة الثانية عشرة: إثبات صفة الاستواء
٢٩	الفائدة الثالثة عشرة: على العرش استوى
٣٠	الفائدة الرابعة عشرة: الفرق بين العلو والاستواء
٣١	الفائدة الخامسة عشرة: مسائل مشتركة بين أسماء الله تعالى وصفاته
٣١	المسألة الأولى
٣٢	المسألة الثانية
٣٢	الفائدة السادسة عشرة: مسائل في الأسماء الحسنی
٣٢	المسألة الأولى:

- المسألة الثانية: ٣٢
- المسألة الثالثة: ٣٣
- الفائدة السابعة عشرة: مسائل في الصفات. ٣٣
- المسألة الأولى: ٣٤
- المسألة الثانية: ٣٤
- المسألة الثالثة: ٣٥
- المسألة الرابعة: ٣٥
- المسألة الخامسة: ٣٦
- المسألة السادسة: ٣٨
- الفائدة الثامنة عشرة كلام الله ﷺ كلام حقيقي. ٣٩
- الفائدة التاسعة عشرة: هل صفة الكلام صفة ذاتية أم صفة فعلية؟ ٤٠
- الفائدة العشرون: أقسام الصفات. ٤٠
- الفائدة الحادية والعشرون: القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق. ٤١
- الفائدة الثانية والعشرون: أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد ٤٢
- الفائدة الثالثة والعشرون: حكم الإيمان بالقدر. ٤٣
- الفائدة الرابعة والعشرون: أنواع المقدر. ٤٤
- الفائدة الخامسة والعشرون: الفرق بين القضاء والقدر. ٤٥
- الفائدة السادسة والعشرون: مراتب القدر. ٤٦
- الفائدة السابعة والعشرون: [أنواع الإرادة] ٤٩
- نبه المؤلف في اثناء كلامه هنا على أن الله تبارك وتعالى مشيئة وله إرادة ، وذلك عند قوله (يضل من يشاء فيخذله بعدله ويهدي من يشاء فيوفقه بفضل) ، وعند قوله أيضا (تعالى الله أن يكون في ملكه ما لا يريد) ٤٩
- الفائدة الثامنة والعشرون: سبق المقادير بالشقاوة والسعادة ، ماذا يقتضي من العبد ٥٠
- الفائدة التاسعة والعشرون: خُلِقَ أفعال العباد ٥٣
- الفائدة الثلاثون : الغاية من بعثة الرسل ٥٤
- الفائدة الحادية والثلاثون: قواعد دعوات الرسل ٥٥
- الفائدة الثانية والثلاثون: [نبينا ﷺ خاتم الأنبياء والرسل] ٥٥

- الفائدة الثالثة والثلاثون: [من صفات نبينا ﷺ في دعوته إلى الله ﷻ]. ٥٦
- الفائدة الرابعة والثلاثون: [حقيقة الوحي المنزل على نبينا ﷺ]. ٥٧
- الفائدة الخامسة والثلاثون: [الطريق إلى الصراط المستقيم]. ٥٨
- الفائدة السادسة والثلاثون: [ثبوت قيام الساعة وتحقق وقوعها]. ٦١
- الفائدة السابعة والثلاثون: [تعريف البعث]. ٦٢
- الفائدة الثامنة والثلاثون: [صفة بعث الموتى]. ٦٣
- الفائدة التاسعة والثلاثون: [مضاعفة الحسنات]. ٦٣
- ومضاعفة الحسنات أيها الأخوة على ثلاث مراتب: - ٦٤
- الفائدة الأربعون: [أقسام الذنوب]. ٦٤
- الفائدة الحادية والأربعون: [أسباب تكفير الذنوب]. ٦٥
- الفائدة الثانية والأربعون: [حكم صاحب الكبيرة إذا مات عليها ولم يتب منها]. ٦٦
- الفائدة الثالثة والأربعون: [من أسباب خروج صاحب الكبيرة من النار]. ٦٧
- الفائدة الرابعة والأربعون: [تعريف الجنة والنار]. ٦٩
- الفائدة الخامسة والأربعون: [الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن]. ٧٠
- الفائدة السادسة والأربعون: [الجنة والنار دامتان باقيتان]. ٧٠
- الفائدة السابعة والأربعون: [إثبات رؤية الله تبارك وتعالى]. ٧١
- الفائدة الثامنة والأربعون: [إثبات رؤية الله تبارك وتعالى]. ٧٢
- الفائدة التاسعة والأربعون: [إثبات صفة المجيء لله تعالى]. ٧٣
- الفائدة الخمسون: [العرض والحساب]. ٧٤
- الفائدة الحادية والخمسون: [إثبات وضع الموازين يوم القيامة]. ٧٥
- الفائدة الثانية والخمسون: [هل الميزان واحد أم متعدد؟]. ٧٦
- الفائدة الثالثة والخمسون: [الموزونات]. ٧٦
- الفائدة الرابعة والخمسون: [نشر الصحف]. ٧٧
- الفائدة الخامسة والخمسون: [أقسام الناس بعد نشر الصحف]. ٧٧
- الفائدة السادسة والخمسون: [إثبات الصراط]. ٧٨
- الفائدة السابعة والخمسون: [أقسام المارين على الصراط وأحوالهم]. ٧٩
- الفائدة الثامنة والخمسون: [وجوب الإيمان بالحوض]. ٨١

الفائدة التاسعة والخمسون: [أقسام المطرودين عن الحوض].....	٨٢
الفائدة الستون: [حقيقة الإيمان].....	٨٣
الفائدة الحادية والستون: [الإيمان يزيد وينقص].....	٨٥
الفائدة الثانية والستون: [من أسباب زيادة الإيمان].....	٨٦
الفائدة الثالثة والستون: [أسباب نقصان الإيمان].....	٨٦
الفائدة الرابعة والستون: [حكم مرتكب الكبيرة].....	٨٧
الفائدة الخامسة والستون: [أقسام الأرواح، وأحوالها في البرزخ].....	٨٩
الفائدة السادسة والستون: [حال أرواح الشهداء].....	٩٠
الفائدة السابعة والستون: [فتنة القبر].....	٩١
الفائدة الثامنة والستون: [كتابة أعمال العباد].....	٩٣
الفائدة التاسعة والستون: [قبض الأرواح عند الموت].....	٩٣
الفائدة السبعون: [اسم ملك الموت].....	٩٤
الفائدة الحادية والسبعون: [حد الصحبة المعتبرة].....	٩٥
الفائدة الثانية والسبعون: [حقوق الصحابة].....	٩٦
الفائدة الثالثة والسبعون: [موقف أهل السنة من العلماء الأمراء].....	٩٨
الفائدة الرابعة والسبعون: [حكم المرء والجدال في الدين].....	٩٩
الخاتمة.....	١٠١

للاستماع إلى المحاضرة يرجى زيارة الرابط

<http://www.baynoona.net/ar/tree/١٥٨٣>

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

سُجلت : ٢٠١٥ / ٠١ / ٠١

فُرغت : ٢٠١٧ / ١١ / ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شبكة بينونة للعلوم الشرعية

نعتني بنقل العلم الشرعي في دولة

الإمارات العربية المتحدة

